الفصل الرابع

منتخبات من آثار ناصيف اليازجي

١ ــ ناصيف اليازجي الأديب

ليس الأديب في عصر المترجم له هو الأديب الذي نعرفه في هذه الأيام ، فقد كان الإنتاج الفكري وقتذاك يعتمد على اللغة واصطياد شواردها وأوابدها وعلى محاكاة الأسلوب الجزل والتمرس بأدب العرب القديم وتاريخهم وأمثالهم ومحاكاة بيانهم وبلاغتهم ، ولقد سلك اليازجي كل هذا في نظام أدبه وأضاف إليه كثيراً من علوم عصره وتجتمع آيات ذلك كله في كتابه « مجمع البحرين » أودعه ستين مقامة نحا فيها نحو من سبقه في هذا المضمار ولكنه بذهم في كثير من المواضع والموضوعات وإليك باقة نضيرة من تلك المقامات :

المقامة الطبية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : خَرَجتُ على فرسٍ جَمُوح [١] ، إلى نِيَّةٍ [٢] طَرُوح [٣]. فأزعجني إهماجًا وخببًا [٤]. وأرهقني صَعَدًا وصببًا [٥] حتى نَهكَني اللُّغُوب [٦]. وأعياني الرُّكُوب [٧]. فنَزلتُ لأُقيل [٨]. وأستقيل [٩] وإذا ناقةٌ تَرعَى. وهي تنسابُ كالأفعَى. فوقفتُ أستشرف [١٠] الهِضاب [١١] والوهاد [١٢]. وأنا أُريدُ أن أُبدِلها بالجواد. وإذا شيخٌ قد انقضَّ [١٣] عليَّ كنَسْر لُقمانَ بن عاد [١٤]. وقال هَلَكتَ واو كنتَ سُهيلَ بنَ عبَّاد [١٥].

---

(١) يغلب فارسه . (٢) جهة ينوى السفر إليها . (٣) بعيدة .
(٤) الإهماج أشد الركض ، والخبب ركض مضطرب . (٥) أى حملنى فوق طاقتى صعوداً وانحداراً . (٦) أى أضعفنى التعب الشديد . (٧) أى عجزت عنه .
(٨) أنام نصف النهار . (٩) أطلب الإقالة من الجهد . (١٠) أنظر ويداى فوق حاجبى . (١١) التلال . (١٢) الأراضى المنخفضة . (١٣) هجم .
(١٤) يقال إن لقمان كان يعنى بتربية النسور فربى سبعة منها وهلكت إلا واحداً كان أشدها وهو لبد . (١٥) قال ذلك . وهو قد عرفه ولمح أنه يريد أن يأخذ الناقة .

فتوسَّمتُهُ [١] من تحت اللِّثام . وقلت قاتلكَ اللهُ واو كنتَ ميمونَ بنَ خزام . فضحك ثم كبَّر [٢] . وقال الاجتماعُ مقدَّر [٣] . ثم قال الطَّعام . يا غلام . فأحضر ما تَمَنَّى [٤] . ثم اندفع فتغنَّى . قال فكان عندى أنسُ ذلك اللقاء . أطربَ من شدْوِ [٥] سلَّامةَ الزرقاء [٦] . وبتُّ معهُ ليلةً من ليالى الدهر [٧] . أحسبُها خيرًا من ألف شهر . حتى اشتعلَ رأسها شيبًا . وعَطَّ [٨] الصباحُ لدَيجورها [٩] جَيبًا [١٠] . فاستوى الشَّيخ على القَتَب . وقال أجيبوا داعىَ الله إلى ما كَتَب . فأَوفَضْنا فى مفازةٍ صَلدة [١١] حتى أفضينا [١٢] إلى بَلدة . بها مدرسةٌ للطبِّ عن الحارثِ بن كَلْدة [١٣] فحللناها حُلولَ النُّونِ [١٤] فى القِفار . أو الضَّبِّ [١٥] فى البحار [١٦] . ولما انجابت [١٧] وعكة [١٨] السَّفر . خرج الشَّيخ فى ارتياد [١٩] الظَّفَر . حتى أتينا المدرسة وهى حافلةٌ بالطَّلبة . وقد قام فى صدرها شيخٌ طويل الأُرْنَبة [٢٠] عظيم العِرْتَبَة [٢١] . فقال الحمد لله الّذى شرَّف علمَ الأبدان . حتى قُدِّم على علم الأديان [٢٢] . أما بعدُ فإن هذا العلم أفضل علوم

(١) أى عرفته بعلاماته . (٢) قال الله أكبر . (٣) أى أنه يكون بأمر الله وقضائه . (٤) تمنيا . (٥) غناء . (٦) هى جارية كانت لجعفر بن سليمان بن عبد العزيز الأموى اشتراها بثمانين ألف درهم . وكانت توصف بحسن الصوت وطيب الغناء . قيل إنها غنت يوماً بحضرة معن بن زائدة الشيبانى وروح ابن حاتم المهلبى وابن المقفع. فأفرغ معن بين يديها بدرة من المال وفعل روح كذلك ولم يكن عند ابن المقفع مال فأعطاها صكاً فيه عهدة ضيعة له .
(٧) أى من لياليه المعهودة . (٨) شق . (٩) ظلامها . (١٠) زيق القميص من أعلاه . (١١) أى أسرعنا فى فلاة صلبة . (١٢) انتهينا . (١٣) هو رجل من بنى ثقيف كان طبيب العرب وكان حاذقاً فى صناعته . أخذ الطب عن الفرس فبرع فيه . وكانت وفاته فى خلافة الإمام عمر . (١٤) الحوت . (١٥) دويبة برية . (١٦) يعنى أننا نزلنا بها غرباء لأنها ليست مكاناً لنا . (١٧) انكشفت وزالت . (١٨) أثر التعب . (١٩) طلب . (٢٠) طرف الأنف . (٢١) طرف الحجاب الذى بين المنخرين . (٢٢) إشارة إلى ما ورد فى الحديث من قوله : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان .

الدنيا جميعاً[١] لأنهُ أشرَفها موضوعًا. وهو أدقُّها نظرًا. وأجلُّها خطرًا[٢]. وأقدمُها وضعًا. وأعظمها نفعًا. وأغمضُها سريرة[٣]. وأوسعها حظيرة[٤]. وهو يستطلعُ الخبايا. ويستوضحُ الخفايا[٥]. حتى قيل إنهُ وَحْيٌ قد هَبَطَ. على الأَطبَّاءِ. كما هبطَ. الوحيُ على الأَنبياءِ. وصاحب هذه الصِّناعة أَروَجُ[٦] الناس بضاعة. وأَربحهم تجارة. وأشهاهم زِيارة. وأكسبُهم أجرةً وأجرًا. وأنفذُهم نهيًا وأمرًا[٧]. وعليه مدارُ الأَعمال والمِهن[٨] وقيامُ الفروض والسُّنَن. فإن كلَّ ذلك لا يتمُّ إلا بصِحة البدن. وطالما كان هذا الفنُّ أعزَّ من جبهة الأَسد[٩]. حتى اغتالهُ الجهلاءُ فأَوثقوا جِيدَه[١٠] بحبلٍ من مَسَد[١١]. فواهًا[١٢] لهُ كيف ثُلَّ[١٣] عَرشُهُ[١٤]. وآهًا[١٥] لعليلهم[١٦] كيف قُلَّ[١٧] نَعشُهُ. قال وكان فى الحضرة فتًى باهرُ اللَّطافة. ظاهرُ القَضافة[١٨]. فقال يا مولاىَ: إنى قد مُنِيت[١٩] بجهل المتطبِّبين[٢٠] الرَّعاع[٢١]. الذين لا يعرفون الصافن[٢٢] من حبل الذِّراع[٢٣]. فلعلَّكَ توصينى بما يكون غُنْيةَ اللبيب. عندَ غيبةِ الطبيب[٢٤]. فأَطرق هُنيهةً للتروية[٢٥]. ثم هبَّ[٢٦] فى

---

(١) أى العلوم الدنيوية احترازاً من العلوم الدينية. (٢) شرفاً.
(٣) لأنه يتعلق بالخفايا المكنونة فى بواطن الأجسام.
(٤) هى فى الأصل ساحة تحاط بسياج للغنم ثم استعملت لغير ذلك. (٥) لأنه يكشف الأمراض الباطنة بالدلائل الخارجية، ويهتدى به إلى قوى الأدوية وطرق المعالجات.
(٦) أنفق. (٧) أى على المرضى. (٨) الصنائع. (٩) مثل فى العزة والمنعة. (١٠) عنقه. (١١) ليف. (١٢) كلمة تحبب.
(١٣) كسر أو هدم. (١٤) كرسيه. أى كيف ذهب عزه. وهو مثل.
(١٥) كلمة تحسر. (١٦) أى العليل الذى يعالجونه. (١٧) رفع.
(١٨) نحافة الجسم. (١٩) بليت. (٢٠) المدعين بالطب.
(٢١) الأحداث السفلة (٢٢) عرق فى الرجل. (٢٣) عرق فى اليد.
(٢٤) أى يكون غنية للعاقل عند غيبة الطبيب الصحيح. وهو اسم كتاب فى الطب وضعه الشيخ شمس الدين محمد بن برهان الدين الأكنانى. (٢٥) التفكر. (٢٦) شرع.

التوصية . فقال : يا بُنَيَّ لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع . وقم وأنت بما دونَ الشبع[١] قانع . وباكِر فى الغداء . ولا تتماسَ فى العشاء . والزم الرِّياضة [٢] على الخلاء . واجتنبها عنه الامتلاء . ولا تُدخِل طعامًا على طعام[٣] . ولا تشرب بعد المنام . ولا تُكثِر من الألوان[٤] . على الخِوان[٥] ولا تَعجَلْ فى المضغ والأَزْدراد[٦] . واجْتَنب كلَّ ما لم ينضج[٧] وما باتَ من الطَّعام فهو مَجلَبةٌ المفساد[٨] . وإذا أمكنتك الوجبة[٩] . فهى أفضلُ نخبة . واقطعِ العادة المُضِرَّة . مرَّةً بعد مرَّة[١٠] . وعليك بتنقية الفُضُول[١١] . فى مُعتدلات الفُصُول . وإذا مرِضتَ فقابل السّبب[١٢] . وأحرِص على القوَّة فإنها إلى الحياة سبب[١٣] . وبالغ فى الدّواء . ما شعرتَ بالدَّاء . ودعهُ[١٤] متى وثِقتَ بالشِّفاء . وإذا استغنيتَ بالمُفرَدات[١٥] . فلا تعدل إلى المركَّبات . وإذا اكتفيتَ بالأغذية . فلا تتجاوزْ إلى الأدوية[١٦] . وإذا تعاظم العَرَض . فاشتغل بهِ عن المرض[١٧] . واعتمد الحِمْيةَ الواقيةَ ، ما دامت العِلَّةُ باقية . واحذَر دواعَى النَّكْس[١٨] .

---

(١) اسم لما يشبع من الطعام . (٢) الحركة المؤثرة تعباً . (٣) أى لا تأكل قبل الهضم لأن الطعام الثانى يشغل المعدة عن هضم الأول فيفسد . (٤) أى أصناف الطعام . (٥) المائدة . (٦) المضغ طحن الطعام بين الأضراس والازدراد البلع . يريد أن العجلة فيهما ترد بالطعام على المعدة جافياً فيشق عليها هضمه . (٧) يشمل ما لم ينضج من الطعام والثمر . (٨) أى لفساد الطعام فى المعدة لعسر هضمه فلا تحسن التصرف فيه . (٩) الأكل مرة واحدة فى النهار .

(١٠) أى بالتدريج . قال الشيخ الرئيس فى أرجوزته :

وكل عادة تضر أهلهـا فاقطع بتدريج الزمان أصلها

(١١) الأخلاط . (١٢) أى انظر إلى السبب وعالجه بضده كما إذا كان المرض عن حرارة فعالجه بالبارد . (١٣) وسيلة . قالوا إن القوة للمريض كالزاد للمسافر . (١٤) اتركه . (١٥) أى بالدواء المفرد البسيط . (١٦) أى إذا وجدت غذاء ينفع من المرض فهو أفضل من الدواء لأنه لا يفعل بالطبيعة ما يفعله الدواء من القهر والنكاية . (١٧) أى إذا حدث عرض شديد يخشى منه سقوط القوة فاشتغل بعلاجه حتى يزول . ثم ارجع إلى علاج المرض . (١٨) الرجوع إلى المرض بعد التخلص منه . وهو بالضم فى الأصل والفتح لغة فيه كما فى الصحاح .

فإنهُ شرٌّ من العِلَّةِ بالأَمس [١] . وأعلم أنَّ التجربة خطر [٢] . فكن منها على حذَر . والعِلاج بين آستفراغ الحاصل . وقطع الواصل[٣] . والصِحَّة تُحفظ بالشِبْه وتُسترَدُّ بالنقيض[٤] . والحِمْيَةُ للصّحيح كالتخليط [٥] للمريض . واستعمال الدّواء حيثُ لا يحتاج . كتركهِ عند حاجة العِلاج . والمُضِرُّ اليسير . خيرٌ من النَّافع الكثير . وكلُّ ما عسُرَ قضمُهُ [٦] شقَّ [٧] هضمهُ . ومن كثرَت تُخَمُهُ [٨] ، تفاقم [٩] سقَمُهُ . وأكثر الأوصاب [١٠] . يكون من الطَّعام أو الشّراب . فاحفظ عنى هذه المواعظ . واحتفظ بها والله الحافظ . قال فلما فرغ من كلامهِ الموضون [١١] . برز شيخنا الميمون . وقال إنى لأراك من أهل الفضل والفصل . وأرباب العقل والنقل . ولقد عثَرتُ على مسائل . فى كتب الأوائل . فهل تأذنُ بدفع الظِّنَّة . ولك المِنَّة . قال حبَّذا . فقُل إذا [١٢] قال ما هو الدَّشْيَذ [١٣] . وكم هى الدّلائل التى تؤخذ [١٤] . وما هو أعدلُ الأعضاء بالنسبة إلى بقيَّة الأجزاء [١٥] . فأخذ الأستاذ فى تقليب رأيهِ ، حتى أفرطَ فى لأْيهِ [١٦] .

---

(١) أى المرض الذى كان قبلا . (٢) يريد تجربة الأدوية المجهول أمرها فإنها خطر على المريض يخشى هلاكه بها أحياناً . (٣) أى أن العلاج يكون باستفراغ ما قد تولد منه المرض أولا ومنع تجدده ثانياً . (٤) أى أن الصحيح يحفظ صحته بما يوافق مزاجه . وإذا زالت يسترجعها بما يناقض مزاج المرض . (٥) ضد الحمية . قالوا إن اثنين لا يصحان : المريض المخلط والصحيح المحتمى . (٦) مضغه . (٧) عسر . (٨) جمع تخمة وهى فساد الطعام فى المعدة . (٩) تكاثر . (١٠) الأمراض . (١١) المسرود . (١٢) أى فقل إذن قلبت نونها ألفاً للوقف . (١٣) هو مادة غضروفية تنبت على طرف العظم المكسور ليلتحم بها . (١٤) قالوا إن الدلائل ثلاث . إحداها المذكرة . وهى التى تذكر الطبيب بما مضى من الأعراض فيستدل به على سبب المرض وكيته . والثانية الحاضرة . وهى التى تدل على حقيقة المرض الحاصل . والثالثة المنذرة . وهى التى تدل على ما سيحدث . (١٥) قالوا إن أعدل الأعضاء مزاجاً بالنسبة إلى غيره من أجزاء البدن هو الجلدة التى على طرف السبابة من اليد . خلقت كذلك لأنها معرضة غالباً للمس فتحتاج إلى الاعتدال فى نفسها لإدراك ما تلاقيه من الملموسات فيفرق بها بين الخشونة والملاسة ونحوهما . (١٦) إبطائه .

ثم قال إن الإنسان موضعُ النسيان[١]. فهل من مسائلَ أُخرَى . لعلى أُصادفُ بها الذِّكرَى . قال قد رميتك بالفصيح فاستعجَم . فهل تَفرَقُ[٢] من صوت الغُراب وتَفرسُ الأَسدَ المشبَّم[٣]. هيهات إن العلم بتحقيق القضايا . لا بتنسيق[٤] الوصايا . فغلب على الرّجل الوُجُوم[٥]. ولَعبت بالقوم الرُّجُوم[٦]. حتى قالوا للشَّيخ مِثلُكَ من يستحقُّ الإمامة[٧]. فهل لك عندنا من إقامة . قال قد علمتم أن النقلة . ثِقلة . ولا سِيَّما مع تطارُح الشُّقَّة[٨]. وتطاوُح[٩] المشقَّة[١٠]. وإن خفَّفتم عنِّى بالإمداد[١١] أتيتكم كوَرْى الزِّناد[١٢]. فنفحوهُ[١٣] بعِدَّةٍ من الدنانير . وقالوا استعِن باللهِ واللهُ على كل شيءٍ قدير . قال سهيلٌ فلما فصلنا عن المكان أخذ الشَّيخ مجلسًا مكتومًا . ثم برز فناولنى طِرْسًا[١٤] مختومًا . وقال إذا أصبحتَ فألقهِ إلى القوم . ولا تثريب[١٥] عليك ولا لوم . فأَجبتُهُ إلى ما طلب . وإذا به قد كَتَب :

أنا ذاك الطَّبيبُ وإنَّ طِبِّى ... لنفسى لا لزيدٍ أو لعمرِو
وما عالجتُ سُقْمَ النَّاس يومًا ... ولكنِّى أعالجُ سُقْمَ دهرى
إذا ما مَسَّنى ضنكٌ[١٦] فعندى ... جُوارِشُ[١٧] حيلةٍ وشَرابُ مكرِ

فلما وقفوا على أَبياتهِ . تعوّذوا باللهِ من آفاتهِ . وقالوا إن لم يكن

---

(١) مثل . (٢) تخاف . (٣) من الشبام وهو عود يعرض فى فم الجدى لئلا يرضع . استعمل ذلك للأسد كناية عن شدة الجوع . وهو مثل يضرب لمن يقدم على الأمر الخطير ويتزعج من اليسير . قيل أصله أن امرأة افترست أسداً ثم سمعت صوت غراب فانذعرت منه .
(٤) تخيره . (٥) السكوت حزناً . (٦) الظنون . (٧) أن يكون إماماً . (٨) تباعد المسافة . (٩) تقاذف . (١٠) التعب .
(١١) الإسعاف . يريد الإسعاف بالمال ليستعين به على مهمات السفر . (١٢) سقوط الشرار من الزند عند اقتداحه . (١٣) أعطوه . (١٤) قرطاساً مكتوباً .
(١٥) توبيخ . (١٦) ضيق . (١٧) سفوف .

طبيبًا . فكفى بهِ لبيبًا [١] . فهل لك أن تردَّهُ علينا لظرْفهِ [٢] . إن لم يكن لعُرفهِ [٣] . قلتُ ذاك مما لا يَقرُب ، فإنهُ أجوَلُ من قُطرُب [٤] . ورجعتُ إلى مَوعِدنا [٥] أمس . فوجدت أنهُ قد أفَلَ [٦] قبل الشمس .

المقامة الحجازية

حَدَّثَ سهيلُ بن عبَّادٍ قال : نهضْتُ من الأهواز [٧] . أُريدُ قُطرَ الحجاز فخَرجتُ أطوى السَّباسبَ [٨] والبسابسَ [٩] . فى عُصبةٍ [١٠] من أُولى الخُلاسِ [١١] . فكنتُ أتفكهُ منهم بالحديث . وأتنقَّلُ منهُ بالقديم إلى الحديث [١٢] . وما زلنا نطعنُ [١٣] فى المفاوز [١٤] ونضرب [١٥] . حتى دخلنا مدينة يَثرِب [١٦] ، فأقمنا بها غِرارَ [١٧] شهر . كغُرَّةٍ فى جبين الدهر . وبينما نحنُ فى ليلةٍ بين الرِّحال . إلى جيرةٍ بمكان الكُليتين من الطِّحال [١٨] . سمعنا زفرةَ [١٩] متنهِّد . يليها صوت كئيبٍ يُنشِد :

يا مَن يردُّ علىَّ ما فَقَدَت يدى ... هيهات ليس يُرَدُّ أمس إلى الغدِ
فقدَت يدى طيبَ الحياةِ وهل ترى ... لى مطمعٌ فى الغابر [٢٠] المتجدِّدِ

---

(١) عاقلا . (٢) ظرافته . (٣) أى علمه . (٤) دويبة تجوب الليل كله لا تنام . وهو مثل . (٥) مكان اجتماعنا . (٦) غاب .
(٧) تسع كور بين البصرة وفارس . (٨) الفلوات المهلكة . (٩) القفار .
(١٠) جماعة . (١١) الحديث الرقيق . (١٢) يحتمل أن يكون من النقل الذى يستعمل كالفاكهة ونحوها أى انتقل منه بالقديم حتى انتهى إلى الحديث . وأن يكون من معنى الانتقال أى انتقل بواسطة ذكر القديم منه إلى ذكر الحديث على سبيل الاستطراد . (١٣) نذهب .
(١٤) فلوات لا ماء فيها . (١٥) نسير فى طلب الرزق . (١٦) مدينة الرسول
(١٧) مقدار . (١٨) أى ملاصقة لنا وهو من قوله :

فكونوا أنتم وبنى أبيكم ... مكان الكليتين من الطحال

(١٩) نفساً طويلا . (٢٠) الباقى .

ماذا يفيد العيشُ صاحبَ كُربةٍ ... لهفانَ يُمسى فى الهمومِ ويغتدى
الموت أطيب من حيـــاةٍ مُرَّةٍ ... تُقضَى لياليها كقضم[1] الجلمدِ[2]
مضَتِ الليالى البيضُ فى زمن الصّبا ... وأتى المشيب بكل يومٍ أســودِ
يا حبَّذا ما فرَّ من أيَّامنـــا ... لو كان يُمسَك عنـــدنا كمُقيَّدِ
أنفقتُ صفو العيش حتى إنهُ ... لم يبقَ لى إلَّا ثُمال[3] المَوردِ
يا ليتَ ذى الأكدارَ أول معهدٍ ... كانت وذاك الصفوَ آخِر معهدِ
وَيْحِى متى أمسى ولى نَفْسٌ بلا ... صَعَدٍ[4] وأنفاسٌ بغير تصَعُّدِ
ما كنتُ أحسدُ سيِّدًا فى ملكهِ ... واليوم أحسدُ عبدَ عبدِ السيِّدِ

قال فلما سمع القوم لهجتهُ الشجيَّة[5]. ورأوا مالهُ من سلامة السجيَّة[6]. رقَّت أفئِدتهم عليهِ. وصَبَت[7] عواطفهم إليهِ. وقالوا هل لنا من يطرق[8] مضجَعَهُ. ويُؤْنِسنا بالتمازج مَعَه. فما عتّم[9] الرّجل أن وقف بنا منتصبًا. وأنشدنا مقتضبًا[10].

أنا الذى ساح[11] البلا فى ساحتى ... أباحَ سِرّى واستباحَ باحتى[12]
روحى كرَيحانى وراحى راحتِ ... ريحًا[13] فراحت راحتى من راحتى

فاستحلى القومُ هذا التجنيس. وأحلُّوا الرجل محلَّ الأنيس. ثم استطلعوهُ طِلعَ أمرِهِ. وما ذاق من خَلِّهِ وخمرِهِ. فقال يا كرام العرب وكعبة

---

(١) أكل بأطراف الأسنان. (٢) الصخر. (٣) ما يبقى فى أسفل الحوض.
(٤) أى مشقة وشدة. (٥) المطربة. (٦) الطبيعة. (٧) مالت.
(٨) يأتى ليلا. (٩) أبطأ. (١٠) مرتجلا. (١١) من السياحة.
(١٢) ساحة دارى. (١٣) أى مثل الريح.

الأَرب . إنى لقد كنت أفرى [١] . وأقرى . وأفدى . وأسدى [٢] . وما زلتُ أُلبِسُ وأطعِم . وأجيز وأُنعِم . حتّى ذهب ما فى السَّفَط.[٣] جُزافًا[٤] . ونَفِدَ[٥] ما فى الكظيمة[٦] استنزافًا [٧] . فصِرتُ أجوَع من ذُوَّالة[٨] . وأعطَش من ثُعالة[٩] .وإنى لَطالما كانت تصدع[١٠] وطأتى الصَّفا[١١] ويَخدش براجمى[١٢] السَّفا[١٣] . فصرت أمشى بقدم الأَخنب[١٤] . وأبسُط راحة الأَكنب[١٥] . ولم يُبْقِ لىَ الدهر سوى ولد . أذلّ من بيضة البلد[١٦] . وقد خطبت لهُ جاريةً تعولنى وإيَّاهُ . لأَقضِىَ غابر هذه الحياة . فلما حان الهِداءُ[١٧] وآن البناءُ[١٨] . قال ذَوُوها[١٩] لاصهار إلَّا بالإمهار[٢٠] . فنقدتهم ما راج[٢١] . وخرجت أسعى بما غبر[٢٢] كجابى الخَراج . وقد أبرزتُ لكم حضيضتى . وبضيضتى[٢٣] . وأطلعتكم على عُجَرى وبُجَرِى[٢٤] فإن أحسنتم فأنا من الشّاكرين . وإلَّا فإنى من العاذرين . فاستحسنوا إشارَتَهُ واستلطفوا عِبارَتَه . وقالوا رَحُبَتْ بك الدّار . وحباهُ[٢٥] كلُّ واحدٍ بدينار . فانثنى [٢٦] وهويُثنِى جميلًا ويمشى ذميلاً [٢٧] .

---

(١) أقطع . (٢) أحسن . (٣) وعاء كالصندوق يلبس بالجلد .
(٤) أى بلا نظام . (٥) فرغ . (٦) بئر بجانب أخرى بينهما مجرى فى الأرض . (٧) يقال نزف ماء البئر إذا نزحه كله . (٨) علم للذئب وهو مثل فى الجوع . (٩) علم للثعلب وهو مثل فى العطش . (١٠) تشق . (١١) جمع صفاة وهى الصخرة الملساء . (١٢) مفاصل أصابعى . (١٣) شوك البهمى ونحوها يريد أنه كان قوى الأعضاء لكنه ناعم مترفه لكثرة الرغد وسعة العيش . (١٤) الضعيف الرجلين . (١٥) من غلظت يده من العمل . (١٦) عش النعام وهو مثل يقال فلان أذل من بيضة البلد . قالوا هى بيضة تتركها النعامة فى فلاة من الأرض فلا ترجع إليها .
(١٧) الزفاف . (١٨) أى بناء الخيمة عليها للدخول بها . (١٩) أى أهلها .
(٢٠) أى لم يعطوه إياها حتى يقبضوا المهر . (٢١) تيسر . (٢٢) بقى .
(٢٣) أى كل ما عندى . (٢٤) أى عيوبى وكل أمرى . (٢٥) أى أعطاه .
(٢٦) رجع . (٢٧) مشياً دون السريع .

فلما أصبحتُ قصدتُ مثواهُ [١] . لأصطبحَ [٢] بنجواه [٣] . وإذا هو صاحبُنا ابن الخِزام[٤]. وقد قام لديهِ ذاكَ الغُلام[٥]. فقلت : أهذا الخطيب المعهود . فأين المِلاك[٦] المشهود[٧]. قال أرجو أن يكونَ خطيبًا[٨]. فإنى أراه لبيبًا . ثم قال يا بُنَىَّ إن الرامى بعِلّة الوَرَشان[٩]. يَأْكُلُ رُطَبَ المُشان[١٠]. وهذه إحدى حُظَيَّات[١١] لُقمان . فإن رأيتَ ما سيكونُ ذَهَلتَ عمَّا كان. واعلم أن العيش نُجعة[١٢] والحرب خُدعة[١٣]. فإذا لم تَغلِبْ . فاَخلِبْ[١٤]. وإذا بُلِيتَ بسوءِ المَصِير . فعليك بحسن التدبير . فلَبِثتُ عندهُ يومى أجمع . أتمتَّع بالمنظر والمسمع . وهو يُطرِفنى بما مرَّ برأسهِ من العِبَر . ويُحدّثُنى بما خَتَل[١٥] وخَتَر[١٦]. والخُبْرُ عندى يَعضُد الخَبَر[١٧]. إلى أن زالت[١٨] الشَّمْس أوكادت تزول . فاستلقى[١٩] على وسادتهِ وأنشأ يقول :

---

(١) منزله (٢) من الصبوح وهو الشرب فى الغداة . (٣) أى بمحادثته . (٤) أى الشيخ ميمون صاحبه فى السفرة الأولى . (٥) أى الغلام الذى كان معه وهو رجب خادمه .
(٦) وليمة الخطبة . (٧) الذى يحضره الناس . (٨) صرف معنى الخطيب الذى ذكره سهيل إلى معنى الواعظ ودل عليه بقوله إنى أراه لبيباً وهو يريد أن يعرفه بأن تلك حيلة منه . وذلك من باب تلقى المخاطب بغير ما يترقب وهو من مباحث علم المعانى .
(٩) طائر وهو ذكر القمارى ويقال له ساق حر . (١٠) نوع من التمر . والعبارة مثل أى أن الصياد بحجة سعيه فى أثر الصيد يدخل بين النخل فيأكل التمر بهذه العلة . يضرب لمن يتظاهر بطلب شىء والمراد منه شىء آخر . (١١) جمع حظية مصغر حظوة وهى سهم صغير لانصل له . . ولقمان هو ابن عاد المشهور . وكان من حديثه أن عمرو بن ثفن بن معوية العادى طلق امرأته فتزوجها لقمان وكانت لا تزال تذكر عمراً زوجها الأول ، فكان ذلك يغيظ لقمان . ولما ضجر من كثرة ذكرها لعمرو قال أكثرت من ذكره فلأقتلنه . وكان لعمرو وأخيه كعب سمرة يستظلان بها حتى ترد إبلهما فيسقيانها . فصعد لقمان إلى السمرة وكمن فيها حتى وردت الإبل فتجرد عمرو وأكب على البئر يستق . فرماه لقمان من فوقه بسهم فأصاب ظهره . فصاح عمرو متوجعاً فقال لقمان هذه إحدى حظيات لقمان . فذهب مثلا يضرب لمن عرف بالشر ثم جاءت منه هنة يسيرة .
(١٢) طلب المرعى فى مكانه . (١٣) مثل . (١٤) اخدع وأصله الضم لكنهم كسروه للمزاوجة وهو مثل . (١٥) خدع . (١٦) غدر . (١٧) أى أن اختباره له بما شاهده منه يصادق أخباره عن نفسه . (١٨) مالت إلى الغروب . (١٩) قام على ظهره .

أعوذُ بالمُهيمِن[١] الفيَّاضِ ... من أهل هذا الزمنِ المهتاضِ[٢]
أسلَمُهم كالأرقم[٣] اللَّضْلاضِ[٤] ... يلسعُ كلَّ قادمٍ وماضِ
إياك يا صاحِ من التغاضي[٥] ... واحذَر ولو من طلحة الفيَّاضِ[٦]
مَن عاشَرَ الخَلْقَ بخُلقٍ راضِ ... وباشَر الجفون بالإغماضِ
هيهات أن يخلو من انقباضِ ... ما الختلُ يا بُنيَّ من أغراضي
لكن تصدى[٧] الظلم لانتهاضي ... أن أدفع الأمراضَ بالأمراضِ
والظلمُ من خبائث الحياض[٨] ... يُلجي[٩] إلى تَدَنُّس الأعراض

لو أنصف الناس استراح القاضي[١٠]

قال ولما فرغ من ارتجازه[١١] دعا بالطعام. وقطع الكلام. فجلسنا نتناول ما حضر. ثم قمنا نتذاكر السَّمَر[١٢]. في ظل القمر. إلى أن تهافت[١٣] الليل. ومال علىَّ الكرى[١٤] كلَّ الميل. فأوغلت[١٥] في النوم حتى حذَتْنى[١٦] قارصةُ الشمس. وإذا الشيخُ قد ارتحلَ فساءنى اليوم أكثرَ مما سرَّنى أمس.

---

(١) من أسماء الله ومعناه الشاهد. (٢) الظالم. (٣) الحية التى فيها سواد وبياض. (٤) المتلفت يميناً وشمالا. (٥) التغافل. (٦) رجل من كرام العرب وهو طلحة بن عبد الله التميمى أحد الطلحات الخمسة المشهورين عندهم. والأربعة الآخرون هم طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ويقال له طلحة الندى. وطلحة بن عمرو بن عبد الله التميمى ويقال له طلحة الجود. وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الخير. وطلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعى ويقال له طلحة الطلحات. قيل إنه وهب فى سنة واحدة ألف جارية فكانت كل جارية إذا ولدت غلاماً سمته طلحة فقيل له ذلك. (٧) تعرض. (٨) جمع حوض وهو بركة الماء. (٩) يضطر. (١٠) مثل. (١١) أى من إنشاده هذه الأبيات التى هى من بحر الرجز. (١٢) حديث الليل. (١٣) تساقط متتابعاً. (١٤) النعاس. (١٥) تعمقت. (١٦) لذعتنى.

المقامة العقيقية

حكى سهيلُ بن عبَّاد قال : بكرتُ يومًا بكورَ الزّاجر[١]. فى مَعمعان[٢] ناجر[٣]. خوفًا من اصطكاك[٤] الهواجر[٥]. فأَمعنت[٦] فى السِّياحة . وجعلت أقطع ساحةً بعد ساحة . حتى إذا تخلَّلت[٧] بعض الغيطان[٨]. وقد سال عليها مُخاطُ الشَّيطان[٩]. رأيت كتيبةً[١٠] من الرِّجال . على كثيبٍ[١١] من الرمال . فبذلتُ فى شاكلة[١٢] الجَواد المهماز[١٣]. ورددتُ صدور الأَرض على الأَعجاز[١٤] حتى أدركت القوم . فى مُنتَصَف اليوم . وإذا جِنازةٌ قد أودعوها التراب . وشيخٌ على دَكَّة[١٥] قد افتتح الخِطاب . فقال يا كرام المعاشر[١٦] والعشائر . وأُولى الأَبصار والبصائر . أَرَأَيتم ما أَحرج[١٧] هذا البيت . وأَسمج هذا الميت . طالما جدَّ وكدَّ . واشتدّ واعتدّ . وركب الأَهوال . واحتشد[١٨] الأَموال . فانظروا أين ما جمع . وهل أَتى بشىءٍ منه إلى هذا المضجع . وطالما شمخ[١٩]. وبدَخ[٢٠] وأَسرف واستطرف[٢١]. وتأَنَّق[٢٢] فى الطَّعام والشراب . واستكرم المِهاد[٢٣] والثِّياب . وتضمَّخ[٢٤] بالعبير[٢٥] والمَلاب[٢٦]. فاعتبروا كيف صار جيفةً

(١) الذى يتفاءل بالطير فيبكر فى التعرض لها عند مرورها . (٢) شدة الحر .
(٣) اسم لأشهر الصيف . (٤) اشتداد الحر . (٥) جمع هاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد حره . (٦) بالغت . (٧) يقال تخللت القوم أى دخلت بينهم . (٨) الأراضى السهلة . (٩) غزل عين الشمس . (١٠) جماعة .
(١١) تل . (١٢) خاصرة . (١٣) ما ينخس به . (١٤) أى جعلت ما أمامى ورائى . (١٥) مسطبة . (١٦) جماعات الناس . (١٧) أضيق .
(١٨) جمع . (١٩) تكبر . (٢٠) اعتز . (٢١) تنقل من طعام إلى آخر . مأخوذ من قولهم ناقة مطراف أى لاتثبت على مرعى واحد . (٢٢) أتقن واستجاد .
(٢٣) المضاجع . (٢٤) تلطخ . (٢٥) أخلاط من الطيب . (٢٦) نوع من الطيوب .

لا تطاق . وكريهةٌ لا تستطيع أن تلحظها الأحداق . فإن كنتم قد ضَمنتم الخلود[١]. وأمِنتم اللحود .

فتمتَّعوا بشهواتكم مليًّا[٢]. واتركوا ما رأيتم نِسْيًا مَنْسِيًّا . وإلا فالبِدارَ البدار . إلى طرح العالم الغرّار . فإن السّعيد من نظر إلى دينهِ دون دُنياهُ . وأخذ الأُهبة لِأُخراه قبل أُولاهُ . والشقيُّ من نظرَ قريبًا . فبات خصيبًا . وعاش رحيبًا . وغَفَلَ عن يومٍ يجعلُ الولدانَ شِيبًا[٣]. ثم فاضت عيناه بالدّموع . وأطرق[٤] برأسه من الخشوع . وأنشد :

واهًا[٥] لمن خاف الإلهَ واتَّقى ... وعافَ مُشترى الضـــلال بالهُدى

وظل يَنهى نفسه عن الهوى ... إنَّ إلى الربِّ الكريم المنتهى

وليسَ للإنسانِ إلا ما سعى ... نَعَمْ وإنَّ سَعيَهُ سوفَ يُرى

ما هٰذهِ الدُّنيا سوى طَيْفٍ[٦] كرى ... فانتبهوا يا غافلينَ للسُّرى

وشمِّروا الذَّيلَ وبادروا الوَحى[٧] ... من قبل أن يدعوكمُ داعى الرَّدَى[٨]

واطَّرحـــوا كُلَّ نعيمٍ وغِنى ... واستهدفوا[٩] لوقع أسهم البِلى

وأقرضوا اللهَ فنِعمَ من وفى ... ما أجهلَ النَّاسَ وأذهَلَ النُّهى[١٠]

لو أنَّ هذا المال فى هذا الورى[١١] ... قال ألَسْتُ رَبَّكم قالوا بلى

ولمافرغ من أبياته زَفَر[١٢] زَفْرَةَ الضِّرام[١٣]. وقال كلٌّ من عليها[١٤] فانٍ ويبقى وجهُ رَبِّكَ ذو الجلال والإكرام ونزل وهو يمسح عَبَراته[١٥] بفضلة اللِّثام .

---

(١) البقاء . (٢) طويلا . (٣) جمع أشيب . (٤) نظر إلى الأرض .
(٥) كلمة تحبب . (٦) الخيال يأتى فى النوم . (٧) عاجلا . (٨) الموت .
(٩) اجعلوا أنفسكم هدفاً وهو ما ينصب ليرمى بالسهام . (١٠) العقول . (١١) الخلق .
(١٢) أخرج نفسه بعد مده إياه . (١٣) يقال زفرت النار إذا سمع لها صوت عند التهابها .
(١٤) أى على الأرض . (١٥) دموعه .

فُخيل للقوم أنهُ قد هبط من السماء وقالوا هذا ممَّن يمشى على الماء . ثم أقبلوا يُهرَعون[١] إليه وَطفِقوا يُقبِّلون يديه . ويتبرَّكون بمسّ بُردَيهِ[٢]. وأتْحفهُ كل منهم بما شاء وقالوا له الدُّعاءُ . فلما أحرز المال هبَّ[٣] إلى الفَرَس . بأسرعَ من رَجْع النَّفس . وقام القوم . فودَّعوه ثم تطرَّقوا [٤] فشيَّعوهُ [٥] فلما أبعد عن الرَّبْوة[٦]. قِيدَ [٧] غلوة[٨]. إذا امرأةٌ كأنَّها من حُور [٩] الجنان . تنتظرهُ على المكان . فتأفَّف[١٠]وقال يا لَكاعِ[١١]الولا حاجة الرِّفاق . لأشهدتُ عليكِ بالطَّلاق [١٢] فقالوا ما هذه الجارية يا مُباركَ النَّاصِيَة ؟ قال هى امرأةٌ لى صَحِبتُها فى هذه الرِّحلة . لتخفَّف عنِّى بعض الثِّقلة . فأنضاها[١٣]الكلال [١٤]حتى لا تستطيعُ أن تمشى فنذهب . ولا أستطيع أن أترجَّلَ لتركب . فتقدَّمَ إليها فتًى بِبرذَونة [١٥] قد امتطاها [١٦]. وقال اركبى بأسم الله مجراها . فقال الشَّيخ جزاك الله خيرَ الجزاء وجزاء الخير . ثم أقسم على القومِ[١٧] فعادوا وكأنَّ على رؤوسِهم الطير[١٨] ، قال سهيلٌ وكنت قد عرفتُ حين أماط[١٩] اللِّثام . أنهُ ميمون ابن خزام . فقلت إن الشيخ قد أتى الله بقلبٍ سليم . والله يهدى من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم . بَيدَ أنِّى[٢٠] طَوَيْتُ عنهُ كشحى [٢١] لأعلم

---

(١) يمشون مسرعين . (٢) مثنى برد وهو نوع من الثياب . (٣) ثار .
(٤) أخذوا فى الطريق . (٥) مشوا معه بعد انصرافه . (٦) التل . (٧) مسافة .
(٨) مقدار رمية السهم . (٩) جمع حوراء وهى التى سواد عينها حالك وبياضها ساطع .
(١٠) تضجر . (١١) يا لئيمة وهو يستعمل فى النداء خاصة مبنياً على الكسر .
(١٢) يريد أن يريهم أنها زوجته . (١٣) هزلها . (١٤) الإعياء .
(١٥) البرذون صنف من الخيل يتخذ للحمل غالباً . (١٦) ركبها . (١٧) أى أقسم عليهم أن يرجعوا . (١٨) أى ساكتين من الهيبة وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه ما يؤذيه من الدبيب فلا يحرك البعير رأسه لئلا يطير الغراب عنه . (١٩) أى أزاح وذلك عند ما مسح دموعه بفضلته بعد انقضاء الخطبة . (٢٠) أى غير أنى . (٢١) الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع يقال طويت عنه كشحى أى أعرضت عنه .

هل أصاب قِدحى [١]. فتراجعتُ [٢] مع الرّاجعين . وتوليت [٣]عنهُ حتى حين . فمكثت هُنيهةً [٤]أترقبهُ . ثم انبعثت أتعقّبهُ [٥]. حتى انتهى إلى دسكرةٍ [٦] فى الطّريق . بجانب العقيق[٧]. فنزل عن الحِجْر[٨] واعتزلَ إلى حَجْرة[٩]. وافترش أريكتهُ [١٠] فى ظل حُجْرة[١١]. فاعتسفتُ[١٢] إليهِ من بعض الجوانب . وكمنت لهُ كالضاغب[١٣]. وإذا به قد احتجر[١٤] دستجة[١٥] من الرّاح[١٦]. كزجاجةٍ فيها مِصباح . وأخذ يتعاطى الأقداح . ويُغازل [١٧]تلك الخود[١٨]الرَّداح[١٩] . فلما لَعِبَت بِعِطفيه الشَّمول[٢٠]. مال على أحد جانبيه وأنشأ يقول :

سقى الغَمامُ تُربَ ذاك القبرِ ... فقد سقانى من لذيذ الخمر
ما لم أَذُقْ نظيره فى العمرِ ... أفادنى فى اليوم قبل العصر
ما لستُ أستفيدُه فى الشَّهرِ ... وإن أَكُنْ ركبتُ إثمَ السّكرِ
فقد أفدتُ القوم عند الذِّكرِ ... مواعظًا تُلينُ صَلْدَ الصَّخْرِ
فنلتُ من ذاك عظيم الأَجرِ ... وصرتُ أرجو أن يقومَ عذرى
عند الإله فى مقام الحشرِ ... بأنّنى كفَّرتُ[٢١]قبل الوِزرِ[٢٢]

قال فلما فرغ من إنشادهِ المُريب . طلعتُ عليهِ طِلعةَ الذيب . وقلت

---

(١) سهمى أى لأعلم هل أصاب ظنى فيه . (٢) أى تظاهرت بالرجوع .
(٣) أدبرت . (٤) زماناً يسيراً . (٥) أتبعه . (٦) مزرعة .
(٧) مسيل الماء . (٨) المهرة . (٩) ناحية . (١٠) فراشه ومتكأه .
(١١) غرفة . (١٢) مشيت فى غير طريق . (١٣) الذى يختبئ ليفزع من يمر به .
(١٤) وضع فى حجره . (١٥) زجاجة كبيرة . (١٦) الخمر .
(١٧) يحادث . (١٨) الجارية الناعمة . (١٩) المتثلثة .
(٢٠) الخمر المبردة بريح الشمال . (٢١) قدمت كفارة أى وفاء . (٢٢) الإثم .

السَّلام على الخطيب . فأَجفل إجفالَ الحَمَل [١] . وقال سَبَقَ السَّيفُ العَذَل [٢] . إذا كنت طُفَيلِيًّا [٣] . فلا تكن فُضُوليًّا [٤] . قلت فَمَن التى تشرب الكاس من يديها . أَحَليلةٌ [٥] بنيتَ بها أم خليلةٌ [٦] أَنِستَ إليها . قال إن بينهما نُقطةً [٧] فلا تُحاسِب عليها . والآن قد غَلَبتنى سَوْرَةُ المُدام [٨] . وتلعثُم [٩] لسانى عن الكلام . فاذهب الليلةَ بالسَّلام . وإذا التقينا غدًا أبرزتُ لك المكنون [١٠] . ودَرَأتُ [١١] عنك الظنون . قال فعلمتُ أنها من خُزَعْبِلاتِهِ [١٢] . لكننى أجريتهُ على عِلاَّتِهِ [١٣] فثنيت عنهُ عِنانى . وانثنيتُ [١٤] لشانى .

---

(١) الخروف . (٢) الملامة وهو مثل يضرب لمن لام بعد وقوع ما لام عليه . وأول من قاله ضبة بن إد المضرى وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد . فنفرت إبل لضبة تحت الليل فأرسلهما فى طلبها فوجدها سعد فردها ومضى سعيد يطلبها فى طريقه الأخرى . فلقيه الحرث ابن كعب وكان على سعيد بردان فسأله الحرث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذهما . وكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال أسعد أم سعيد . فذهب قوله مثلا . ومكث بعد ذلك ما شاء الله ثم حج فلما وافى عكاظ لقى بها الحرث بن كعب ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما فقال له هل أنت مخبرى ما هذان البردان فقد أعجبنى منظرهما. قال لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى على فقتلته وأخذتهما. فقال أبسيفك هذا ؟ قال نعم . قال ألا ترينى إياه فإنى أظنه صارماً فأعطاه إياه . فلما أخذه منه هزه وقال إن الحديث ذو شجون فذهب قوله مثلا. ثم ضربه به فقتله فقيل له يا ضبة أتقتل فى الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل . فذهب قوله مثلا أيضاً . (٣) نسبة إلى طفيل بن زلال الكوفى . (٤) نسبة إلى الفضول وهو دخول الإنسان فى مالا يعنيه . (٥) زوجة . (٦) صديقة . (٧) يريد النقطة التى على الخاء من الخليلة وليس بينها وبين الحليلة فرق غيرها فى الخط . (٨) الخمر . وسورتها وثوبها إلى الرأس . (٩) احتبس . (١٠) المخبأ . (١١) دفعت . (١٢) خرافاته وأباطيله . (١٣) تغاضيت عنه مع عيبه . (١٤) رجعت .

المقامة اليمامية

أخبرنا سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : تَقلَّدتُ السَّفرَ طَوْقَ الحمامة [١] مُنْذُ اعتجرتُ بالعِمامة [٢]. وكنت أهوَى ديارَ العَرب العَرْباء . لما فيها من الشعرَاء والخُطباء . والفُصحاء والأُدباء . والبُلغاء والنُّجباء . فكنتُ أُزجى [٣] إليها الرِّكاب. وأَتَضمَّخ [٤] منها بالعَجاج [٥] والعُكاب [٦]. وأَتَعطَّرُ بالعَرار [٧] والبَشام [٨]. وأَتفكَّهُ [٩] بالعَرْفَج [١٠] والثَّغام [١١]. وأَطرَبُ للنَّصْب [١٢] والحُداء . وأَبتهج بالثُّغاء [١٣] والرُّغاء [١٤]. حتى إذا كنت يومًا بحَجْرِ اليمَامة [١٥]. رأيتُ كتيبةً قد أطبقت كالغمامة . فحثحثتُ [١٦] الجَواد. حتى حصحص [١٧] لى ذلك السَّواد [١٨] ، وإذا فتًى لاغط. [١٩] ، وشيخٌ ضاغط. [٢٠] ، والنَّاس حولهما يتفرَّجون ، ولا يُفرِجون [٢١]. فانتصبتُ مع الوُقُوف ، ونظرت من خِلال الصُّفوف وإذا الشيخ يقول ويلَ أُمِّك يا أَخبَثَ من الشَّيْصَبان [٢٢] وأَروَغَ من الثُّعلُبان [٢٣]. إلامَ تتمادَى فى العُقُوق [٢٤] وتَتغاضى عن الحُقُوق.

---

(١) مثل يضرب فى الملازمة للشيء كلازمة طوق الحمامة لعنقها . (٢) أى لففتها على رأسى . (٣) أسوق . (٤) أتلطخ . (٥) الغبار . (٦) الدخان . (٧) نبات طيب الرائحة يقولون له بهار البر . (٨) شجر طيب الرائحة يستاك به . (٩) اتخذ فاكهة . (١٠) شجر ينبت فى السهول . (١١) نبات يكون فى الجبال . (١٢) غناء للعرب أرق من الحداء . وهو لحن لم يعرف عند أهل الموسيقى بالسلمك . (١٣) صوت الغنم والمعزى . (١٤) صوت الجمال . (١٥) اليمامة قسم من أقسام بلاد العرب . والحجر مدينة بها . (١٦) أعجلت . (١٧) ظهر . (١٨) العدد الكثير . (١٩) من اللغط وهو الضجيج والصياح . (٢٠) يقال ضغطه إذا زحمه إلى حائط ونحوه . (٢١) أى ولا يفتحون فرجة وهى الفسحة بين الشيئين . (٢٢) الشيطان . وقيل اسم قبيلة من الجان . (٢٣) الثعلب الذكر . (٢٤) سوء المكافأة عن التربية .

أما تذكر تثقيفى أَوَدَك[١] وتلقيني رَشَدَك[٢] ، وهل نسيتَ ما تجشَّمتُ[٣] من جَلَلِك[٤] . فى مُداواة عِلَلك ، وكم أنفقت عليك فى المدارس ، والمطاعم والملابس . فبأىّ آلاء[٥] ربك تتمارَى[٦] ، ولو كنتَ أَبْلَهَ من الحُبارَى[٧] . هذا والغلامُ يتظلَّم ، ويتململُ ويتألَّم ، وهو أَحْيَرُ من ضَبّ[٨] ، وأَنفرُ من بعيرٍ أَزَبَّ[٩] فلما رأى القوم ما رأوا من تَمَلْمُلِهِ ، واصطخابه[١٠] وتبلبُله[١١] . قالوا ليس شكوَى . بلا بلوَى . فأَبِنْ أيُّها الشَّيخ عُذرَك ، وضَعْ عنك وِزْرَك[١٢] . الذى أَنْقَضَ ظَهْرَك[١٣] . فأَرِنَ[١٤] كما يأْرَنُ المهر . وقال قد تجنَّى[١٥] علىَّ هذا الغُمر[١٦] ، والله يعلم أن ليس لى ذنبٌ إلّا ذنبُ صُحْر[١٧] . إن هذا الفتى عربىُّ الدار ، لكنه رومىُّ النِّجار[١٨] ، وقد بذلتُ فيه من الدّينار والدِّرهم ، ما لا يبذله خالدُ ابن الأَيْهَم[١٩] ، وأفرغتُ جُهدى فى تهذيب لسانه . وتعديل ميزانه ، فلم يَزَلْ

---

(١) تقويمى اعوجاجك كناية عن تهذيبه له . (٢) أى مناولتى لك الرشاد بالسرعة .
(٣) تكلفت . (٤) أى من أجلك. (٥) نعم . (٦) قوله تتمارى أى تشك . والعبارة آية من القرآن يراد فيها بالرب ذات الله سبحانه . وهو يحتمل هنا أن يبقى على حكمه بناء على أنه تعالى قد أنعم عليه بإيقاعه فى يد من يهذبه ويحسن تربيته . ويحتمل أن يستخدم للشيخ كما يقال رب المال ورب البيت ونحو ذلك . (٧) البله الغباوة والغفلة . والحبارى طائر يضرب به المثل فى ذلك لأن أنثاه إذا فارقت بيضها تذهل عنه فتحضن بيض غيرها . (٨) مثل يضرب فى الحيرة لأن الضب إذا فارق جحره لا يهتدى إليه . (٩) الأزب الكثير الشعر . وذلك أن البعير يرى طول الشعر على عينيه فيظنه شخصاً فينفر منه ولا يتخلص من لحاقه به فلا يزال نافراً . وهو مثل أيضاً . (١٠) ضجيجه . (١١) اضطرابه . (١٢) حملك الثقيل .
(١٣) أى أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت مفاصل العظام عند الضغط . (١٤) مرح نشاطا .
(١٥) ادعى على بذنب لم أفعله . (١٦) النبى الجاهل . (١٧) هى بنت لقمان بن عاد كان قد خرج أبوها لقمان وأخوها لقيم مغيرين فأصابا إبلا كثيرة . فسبق لقيم إلى منزله فعمدت صحر إلى جزور مما قدم به لقيم فنحرتها وصنعت منها طعاماً لأبيها . وكان لقمان قد حسد لقيما لتبريزه عليه فلما قدمت له الطعام وعلم أنه من غنيمة لقيم لطمها لطمة قضت عليها . فصارت مثلا لمن يعاقب بغير ذنب . (١٨) الأصل . (١٩) هو خالد بن جبلة بن الأيهم الغسانى من آل جفنة ملوك الشام . كان قد أسلم فى خلافة الإمام عمر =

يَكسِرُ شكيمة[١] اللِّجام . ويَنزِع[٢] إلى ألفاظ الأعجام[٣] . فيدعو المعلِّم . بالمؤلِّم . ويُسَمِّى القلب . بالكلب . والحيطان . بالخيطان[٤] . ويُعرِّف المُضاف[٥] ويُؤخِّر الموصوفات عن الأوصاف[٦] . وهذا مما تأباهُ[٧] السَّجيَّة[٨] الأدبيّة . وتَستَكُّ[٩] منه المسامع العربيَّة . وشهد الله أنى أُريدُ تهذيبَهُ . لا تعذيبَهُ . وأرغَبُ فى تثقيفِه . لا تعنيفِه[١٠] . لكنَّنى أجتهدُ فى تسديده[١١] فيعثُر . وأروم تشديدهُ فينفُر . وإن كنتم فى ريبٍ من ذٰلكُم[١٢] فاختبِروه ، وإلا فأنا أمتَحِنُهُ لِتَعتبروه . قالوا : لا جَرَمَ أنَّ المولى هو الأَولَى . فأمسك هُنيهة[١٣] عن الكلام ثم قال : قُل يا غلام :

أنا الخزامىُّ الرَّقِيقُ الكَلِمِ ... مَسحتُ ركنَ المَسجِدِ المحرَّمِ
ولى غُلامٌ من نِتاج العَجَمِ ... يشرِقُ فى فُؤادِهِ وفى الفَمِ

=ابن الخطاب وأقام معه بالمدينة حتى حضر موسم الحج فخرج معه إلى مكة . وبينما خالد يطوف بالبيت محرماً متزراً وطىء رجل طرف إزاره فانحل وانهتك ستره فغضب ولطم الرجل . فشكاه الرجل إلى الإمام عمر فقال الإمام يا خالد إما أن تستوهب الرجل أو يلطمك فإن الملك والسوقة فى الحق سواء . فغضب وخرج ليلا إلى الشام وارتد عن إسلامه . ولما بلغ الإمام خروجه كتب إلى عامله أبى عبيدة بن الجراح أن يستتيبه فإن تاب وإلا فليضرب عنقه . فلما علم خالد بذلك فر هارباً حتى دخل أرض الروم وأتى قيصر فأخبره بأمره فسر به وأقطعه أعمالا فى بلاده وطالت يده فى تلك البلاد فاتخذ كثيراً من العبيد والجوارى وبذخ فى عيشه وكان كريماً متلافاً . وهو آخر الملوك الغسانية بالشام .

(١) الحديدة المعترضة فى فم الفرس . (٢) يميل . (٣) يشمل كل من كان من غير العرب . (٤) أى يبدل العين بالهمزة والقاف بالكاف والحاء بالخاء لأن لسانه لا يطوع على تلك الأحرف إذ ليست فى لغته التى نشأ فيها فيستبدلها بما يقاربها من أحرف لغته . (٥) أى المضاف المعنوى وهو المفهوم عند الإطلاق فيقول جاء الغلام زيد . (٦) فيقول عندى كريم رجل جرياً فيهما على اصطلاح لغته . (٧) تكرهه . (٨) الطبيعة . (٩) تثقل وتضيق . (١٠) تعييره ولومه . (١١) توفيقه للصواب . (١٢) أصله ذلك فأدخل عليه الميم الدالة على خطاب الجمع . (١٣) حيناً يسيراً .

أوجَدَه بارى الورَى من عَدَمِ وحاطَه بالقَـدَر المُصَمَّمِ[١]
فلم يَزَلْ فى حَرَسٍ مُتَمَّمِ

فتَعزَّز الفتى وتمنّع . وهو يروغ كالفارس الأَهْنَع[٢]. فما زال به القوم حتى أجابَ فترحْرَح[٣] ، وأنشد بصوت صَمَحْمَح[٤] :

أنا الخزامىُّ الركيك الكَلِم مسختُ ركنَ المسجِدِ المُخَرَّمِ
ولى غلامٌ من نِتاج الأَجَمِ[٥] يُشرِك[٦] فى فؤاده وفى الفمِ
أوجَدَهُ بارى الورى من أَدَمِ[٧] وخاطهُ بالكَدَر المسمَّمِ[٨]
فلم يزَلْ فى خَرَسٍ مُتَمَّمِ

قال فلما رأى القوم سُقم هذه الألفاظ . وما أدّتْ إليه من المعانى الفِظاظ.[٩]. تعوَّذوا بالله من سوء تلك اللُّثغة . وقالوا ما هذا الغلامُ الذى لا يُشترَى بفَشْغة[١٠] فتبرَّم الشيخ وتأَفَّف[١١] ، وتأَوَّه وتأَسَّف ، وقال قد علمتم أن عِثار اللسان شرٌّ من عِثار القدَم ، ولكن ماذا يَنفَع النَّدَم ، وإننى طالما حدَّثتُ نفسى بعَتَاقِه ، وهممتُ بانعتاق من وَثاقِهِ ، ولو وجدت لى عنهُ غِنًى ، أو كان فى يدى سَعَةٌ من الغِنَى . لبِعتُه بنصف القيمة ، واشتريت غيره بضعف[١٢] السِّيمة[١٣] ولكن قد انقطع السَّلَى[١٤]. فلا حَول ولا[١٥]. فأَجهَش[١٦] الفتى عن كَثَب[١٧]. وأخذ رُقعةً وكَتَب :

---

(١) من معنى الصميم أى الخالص . (٢) المائل فى سرجه يميناً وشمالا .
(٣) فسح بين يديه . (٤) شديد . (٥) الغابات . ولعل ذلك فيكون من الوحوش . (٦) يكفر . (٧) جلد . (٨) أبدل الصاد بالسين لأنها ليست فى لغتهم فإذا لفظوا بها جعلوها سيناً . (٩) الغليظة . (١٠) هى القطنة التى تكون فى جوف القصبة . (١١) تضجر . (١٢) من معنى المضاعفة. (١٣) من معنى المساومة . (١٤) السلى جلدة رقيقة يكون فيها المولود من المواشى إذا انقطعت فى البطن هلكت الأم والولد . وهو مثل يضرب فى ذهاب الحيلة . (١٥) أى ولا قوة إلا بالله .
(١٦) تهيأ للبكاء . (١٧) قرب .

هَبُوا [١] خَطَأَ اللِّسان علىَّ عيبًا أما لى غيرَه شىءٌ يُصيبُ
أنا ابنُ اقعُدْوقم [٢] لا فى النَّدامَى أُعَدُّ ولا سميرٌ [٣] أو خطيبُ
أُديرُ من المعانى كلَّ كأْسٍ تطيبُ فَخَلَّ لفظى لا يطيبُ
إذا كان الجميلُ سليمَ حُسْنٍ فليسَ يضرُّه ثوبٌ مَعِيبُ

فلما وقف القوم على شعره . ورأوا انحطاط سِعره . قالوا إن لم يُحسِن الكَرَّ . فالحَلبَ والصَّرَّ [٤] ، ونَقَدوا الشَّيخ [٥] بعضَ المال . وقالوا للفتى دونَكَ الجِمال . فسُرَّ كلاهما وارتضى ، ووَدَّعَهم الشيخ ومضى . قال سهيلٌ وكنت قد عرفتُ ذَينِكَ الصاحبَين [٦] . اللَّذَين سَيئاتهما تغلِب الكاتبَين [٧] . فقَفَوتُ الشَّيخ فى تلك البِقاع ، وقُلتُ يا فَرَزْدَقُ أين وقَّاع [٨]

---

(١) احسبوا . (٢) يقال للعبد ابن اقعد وقم وللأمة ابنة اقعدى وقومى والمراد بهما الاستخدام . وهى إضافة على تقدير قول محذوف أى قول اقعد وقم أو على إرادة اللفظ مأخوذاً مأخذ الاسم كما فى قولهم زعموا مطية الكذب أى هذه الكلمة مركب الكذب . (٣) أى ولا أنا سمير .
(٤) مأخوذ من قول عنترة العبسى . وكان قومه قد أغاروا على بنى طى فاستاقوا إبلا كثيرة . ولما أرادوا القسمة قالوا لا نعطيك نصيباً منها مثل أنصبائنا لأنك عبد . ثم إن بنى طى أغاروا عليهم فاستنقذوا الإبل . فقال له أبوه شداد كر يا عنترة فقال لا يحسن العبد الكر إلا الحلب والصر . فذهبت مثلا . والصر ربط ضرع الناقة بخيط لئلا يرضع الفصيل . وإلا بمعنى لكن . أى لا يحسن الكر لكن يحسن الحلب والصر . ومراد القوم أنه إن لم يحسن الكلام فهو يحسن الخدمة .
(٥) قبضوه . (٦) يريد أنه عرف أنهما الشيخ الخزاعى وغلامه رجب الذى يصرخ باسمه .
(٧) أى تغلب الملكين اللذين كل واحد منهما يكتب سيئات كل منهما فلا يقدران على إحصائها لكثرتها . (٨) الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمى . وإنما لقب بالفرزدق وهو قطعة العجين لأنه كان غليظاً ضخم الوجه . وكان الفرزدق فاسقاً مجاهراً بالفحشاء . وكان له أخ يقال له الأخطل كان زاهداً عفيفاً . قيل دخل الفرزدق مجلساً فيه دغفل النسابة فنسبه دغفل حتى بلغ أباه فقال وولد غالب رجلين أحدهما شاعر سفيه والآخر ناسك فأيهما أنت . قال أنا الشاعر السفيه . وقد أصبت فى نسبى وكل أمرى فأخبرنى متى أموت . قال أما ذلك فليس عندى . وكان للفرزدق غلام يقال له وقاع كان يرسله فى قبائحه . وسهيل يشبه الشيخ بالفرزدق وغلامه بوقاع لأنه يستخدمه فى حوائجه السيئة .

قال. انزِل بنا هُنا ، والليلُ يوارِى [١] حَضَنًا [٢] فنَزَلنا إلى أنِ استَوهَن الليل[٣]. وإذا رَجبٌ على شَيْظَمةٍ [٤] من جياد الخيل. تندفق بهِ كعارض السيل. وهو بين ذلك يُنادى. اللَّيلَ وأهضامَ الوادى[٥]. واستَمرَّ يعدو[٦] الهَمْلَجة[٧]. على مُهرته السَّلَّجة [٨] فما أدركناه إلا وقد أشمَخَرَّ[٩] الضُّحى ، وكلَّت الخيل من الوَحَى[١٠] فنزلنا جميعًا عن السُّروج. فى بعض تلك المُرُوج. حتى إذا انجابَ[١١] بُهْرُ الأنفاس[١٢]. وثابَ أَشَرُ[١٣] الأفراس. ثار رجبٌ كالرِّئْبال[١٤]. وقال لا تَقسِط.[١٥] على أبى حِبال[١٦]. وترك القوم يكسرون عليه أرعاظ.[١٧] النِّبال.

المقامة الرملية

قالَ سهيلُ بنُ عبَّادٍ : حللتُ بالرملة[١٨] الوَطَر[١٩] أقضيهِ ودينٍ أقتَضيهِ[٢٠]. فأقمتُ بها شهرًا. وكنتُ أحسَبُهُ دهرًا [٢١]. حتى إذا بلغتُ اللدُنَّة[٢٢].

---

(١) يستر . (٢) هو جبل عظيم فى نجد . والعبارة مثل معناه أن الليل يستر ما يغشاه ولو كان عظيما مثل هذا الجبل . (٣) دخل فى الوهن وهو نحو نصف الليل .
(٤) أى فرس فتية جسيمة . (٥) الأهضام جمع هضم وهو ما اطمأن من الأرض . أى احذر الليل ومهاوى الوادى . وهو مثل يضرب فى التحذير من أمرين كلاهما مخوف . والمراد بهما عنده أصحاب الفرس الذين يخاف أن يلحقوا به ولصوص البادية الذين يخاف أن يصادفوه .
(٦) يركض . (٧) هى أن يقارب الفرس بين خطواته مع الإسراع . (٨) السريعة الخفيفة . (٩) ارتفع. (١٠) السرعة. (١١) انشكف وزال. (١٢) أى ضيقها.
(١٣) نشاط . (١٤) الأسد . (١٥) من القسط وهو الجور .
(١٦) هو طليحة بن خويلد الأسدى الذى ولده حبال بثابت ابن الأقرم وعكاشة بن محصن فقتلاه . فجاء الخبر إلى أبيه طليحة فتبعهما وقتلهما جميعاً . فلما رأى قومه صنيعه وطلبه بثأر ابنه قالوا لا تقسط على أبى حبال . فذهبت مثلا يضرب لمن يحذر جانبه ويخشى انتقامه . (١٧) الأرعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل فى السهم كان يكسره الرجل من العرب إذا اغتاظ لأنه كان يخط فى الأرض بسهامه فيكسر أرعاظها . وهو مثل يضرب فى شدة الغيظ . (١٨) البلدة المعروفة.
(١٩) حاجة . (٢٠) أستوفيه. (٢١) أى كنت أستطيل مدته لشدة الضجر.
(٢٢) الحاجة .

خرجتُ تحت الدُّجُنَّة [١] . وكان الشهر قد وقع فى الأَنين [٢] فاعتسفتُ [٣] بين الشك واليقين . أتَجانف [٤] تارةً ذاتَ الشِّمال وأُخرى ذاتَ اليمين . وما زلتُ أَخبطُ [٥] الظَّلماءَ . حتى أقمرَتِ السماءُ [٦] . فتبيَّنتُ وجهَ الهُدى . وإذا أنا أمشى على مثل المُدى [٧] من حِرار [٨] تلك الكُدى [٩] . فوقفتُ كالحائر اللَّهِف . لِأَنظُرَ من أينَ تُؤْكَلُ الكَتِف [١٠] . وإذا رَكْبٌ [١١] يضربون أكبادَ الإبِل [١٢] . وفى صَدرهم [١٣] شيخٌ يُنْشِدُ بصوتٍ زَجِل [١٤] :

يا مَن يَرى مالا يُرى ولا يُرى [١٥] ... ويَعلمُ السرَّ وأَخفى فى الوَرى [١٦]
دعَوتُكَ اللهمَّ إذ طالَ السُّرى [١٧] ... ومالتِ الأَعناقُ من خمر الكَرى
يَسِّرْ لنا رزقًا من العرش جَرى ... أَو فاهدِنا لبابِ رِزْقٍ يُعترَى [١٨]
نَعْدُ [١٩] إليهِ مِثلَ عَدْو الشِّنْفَرَى [٢٠]

---

(١) الظلمة . (٢) يكنون بذلك عن دخوله فى العشرين وما يليها لما فيها من الغنة كالأنين . ومراده أن القمر كان يتأخر طلوعه . (٣) مشيت على غير طريق . (٤) أميل . (٥) أمشى على غير هدى . (٦) أى طلع فيها القمر . (٧) السكاكين . أى على حجارة محددة . (٨) جمع حرة وهى أرض فيها حجارة سود نخرة . (٩) الأراضى الغليظة .
(١٠) أى لأنظر من أين ينبغى أن يسار . وهو مثل فى استبانة الأمر المبهم يقال إن أكل الكتف مشكل عند العرب . قال بعضهم تؤكل الكتف من أسفلها ويشق أكلها من أعلاها . ويقولون إن المرقة تجرى بين اللحم والعظم منها فإن أخذتها من أعلى تجرى عليك المرقة فتنصب . وإن أخذتها من أسفلها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها . ولذلك يقولون عن الرجل الداهية إنه يعلم من أين تؤكل الكتف . (١١) جمع راكب . (١٢) أى يسوقونها سوقاً عنيفاً . (١٣) أى فى مقدمتهم . (١٤) من قولهم زجل إذا رفع صوته وطرب فيه . (١٥) معطوف على يرى الأولى أى يا من يرى ولا يراه أحد . (١٦) الخلق . (١٧) المشى فى الليل . (١٨) يقصد .
(١٩) نركض . (٢٠) رجل من بنى الأزد قيل له الشنفرى لعظم شفتيه . وهو صاحب لامية العرب التى يقول فى مطلعها :

أميلوا بنى أمى صدور مطيكم ... فإنى إلى قوم سواكم لأميل

وهو أحد محاضير العرب الموصوفين بسرعة الركض . وهم خمسة منهم الشنفرى هذا وسليك بن السلكة وهو أشدهم عدواً وعمرو بن براق وأسير بن جابر وتأبط شراً .

قال : فلما سمعتُ ذلك الدُّعاء خَشِيتُ أن يُستجاب . وأكون أنا ذلك الباب[١] . فوقعتُ فى حِيصَ بيص[٢] . إذ لم أجِد لى من مَحيص[٣] . ولم يَكُنْ إلا كنغبة طائر[٤] . حتى حملَ علىَّ كالثَّائر[٥] . وقال قد أنجح[٦] ربك الطَّلَب . فخلِّ عن السَّلب[٧] . حتى إذا كادَ يُدْرِكُنى بسنانهِ . أخَذَت جاريةٌ بعِنانهِ[٨] . وقالت بتربة خزام[٩] دَعْهُ يمضى لشأنهِ . فلما آنستُ رَيَّا[١٠] الخزام تفرَّستُ فإذا ميمونٌ ولَيلى والغُلام . فاطمأنَّ[١١] هنالك قلبى . وانفشأت[١٢] لوعةُ كَرْبى . ونزَلنا جميعًا على تلك السَّلام[١٣] وتطارحنا السَّلامَ بالسُّلام[١٤] . وقضينا ثميلة[١٥] ليلنا البارح . إلى أن صَدَح الصَّادح[١٦] . وسكَت النَّابح[١٧] . فقال إنَّا نُريدُ الرملة . فهل أنتَ فى الجُملة . قلت إنَّ العَودَ مع مثلك أحمَد . ولَوْ إلى بُرْقة ثَهْمَد[١٨] . وقمنا نسيرُ الوَحى[١٩] . فدخلناها رائعةَ الضُّحى[٢٠] . وإذا أنا قد كنت أمشى مِشيةَ الرَّحى[٢١] ولما ألقينا العصا[٢٢]

---

(١) أى خفت أن يستجيب الله دعاءهم ويهديهم إلى باب رزق وأكون أنا ذلك الباب الذى يهتدون إليه فيسلبون منى ما معى . (٢) أى فى ارتباك لا مخرج لى منه وهما اسمان مركبان مبنيان مثل بيت بيت . (٣) مهرب . (٤) أى مهلة ما يشرب الطائر .

(٥) صاحب الثأر الذى يقوم لأخذه . (٦) يسر وقضى . (٧) أى اترك ما معك من الأمتعة . (٨) سير اللجام . (٩) أى أتوسل إليك بتربة أبيك خزام

(١٠) رائحة طيبة . (١١) سكن . (١٢) يقال انفشأت القدر أى انطفأت رغوتها . (١٣) الحجارة . (١٤) عظام الأصابع أراد بها الأيدى مجازاً .

(١٥) بقية . (١٦) أى ترنم الطائر . (١٧) أى الكلب . كنى بذلك عن طلوع الصبح لأن الطائر يترنم عند الصبح والكلب يمسك عن النباح . (١٨) مثل أول من قاله خداش بن حابس كان قد خطب جارية يقال لها الرباب فرده أبوها . فتركها زماناً ثم أقبل حتى انتهى إلى حلتهم وتغنى بأبيات يتشوق بها إليها . فسمعته الرباب وأرسلت إليه أن يأتى خاطباً فلا يرد . فأقبل خداش إليهم وقال العود أحمد فذهبت مثلا . وبرقة ثهمد مكان فى بلاد العرب . يقول إن العود إذا كان مع مثلك فهو محمود ولو كان إلى مكان بعيد مثل برقة ثهمد . (١٩) سريعاً .

(٢٠) أى بياض الضحى . وهى منصوبة على الظرفية . (٢١) أى فوجدت أننى كنت أمشى فى الليل كما تمشى الرحى . أى أدور وأنا فى مكانى . وذلك لأنهم وصلوا فى مدة يسيرة .

(٢٢) كناية عن وصول المسافر .

أخذ الشيخُ يتجهَّز [١] . لطَرْق الحَصى [٢] . ثم قام بى يَتعقَّدُ المعاهِد[٣]. ويَتعهَّدُ المَشاهِد . حتى انتهينا إلى مكتبة مكتظَّةٍ بالطَّلبة[٤]. فتخللنا المَقام. وقلنا سلامًا قالوا سَلام. وكان بينهم شيخٌ قد لَبِسَ العمائِمَ الثَّلاث[٥] .فأشارَ إلى بعض أولئك الأَحداث[٦]. وقال هل تذكر الأَبيات العواطِل[٧]. أَم ذَهَبَتْ عنك بالباطل . فأَنشد ولم يُماطِل :

أَلحمــدُ لله الصَّمَـد حالَ السُّرُورِ والكَمَد
أَللهُ لا إلٰهَ إلَّا أَللهُ مــولاكَ الأَحَد
لا أُمَّ لِلّٰهِ ولا والِدَ لا ولا وَلَد
أَوَّلُ كُلِّ أَوَّلٍ أَصــلُ الأُصــولِ والعُمَد
الواسـعُ الآلاءِ [٨] وآل آراءِ علمًا ، والمَــدَد
الحَوْلُ [٩] والطَّوْلُ [١٠] لهُ لا دِرْعَ إلَّا ما سَرَد[١١]
كلٌّ سِــواهُ هالكٌ[١٢] . لا عَدَدٌ[١٣] ولا عُدَد[١٤]
صاحِ[١٥] أدعُ مولاكَ لِما أَوعَدَ وأَسأَلْ ما وَعَدْ[١٦]
وأَصدَعْ[١٧] رداءَ اللَّهْوِ وآل مَكْرِ ودَعْ[١٨] سُوءَ اللَّدَد[١٩]

---

(١) يتأهب . (٢) من أعمال السحرة أى أخذ يتهيأ لأعمال مكروه .
(٣) المواضع المعهودة لاجتماع الناس . (٤) ممتلئة بالتلاميذ . (٥) يراد بالعمائم الثلاث الشعر الأسود ثم الأشمط ثم الأبيض كناية عن بلوغ غاية السن . (٦) الغلمان .
(٧) التى لا نقط فيها . (٨) النعم . (٩) القوة . (١٠) القدرة .
(١١) نسج . أى لا وقاية إلا وقايته . (١٢) مائت أو ذاهب تلفاً. (١٣) جيش .
(١٤) أدوات حرب ، أى لا شىء من ذلك يمنع الموت . (١٥) أى يا صاحب .
(١٦) يقال أوعد فى الشر ووعد فى الخير . (١٧) شق . (١٨) اترك .
(١٩) المخاصمة .

وَاسلُ المُدام[١] وَالمَها[٢] وَارمِ المِراءَ[٣] والحَسَد
وَامحُ رُسُومًا ما لهـا حَدٌّ ولا لهـا عَدَد
وسامِـحِ المرْءَ سَها[٤] لمَّا رماكَ[٥] أم عَمَد[٦]
وَارْدَعْ هَـواكَ كارِهًا ما وَدَّ وَاعكسْ ما طَرَد[٧]
وَاعلَمْ وعَلِّمْ وَاطَّرِح[٨] أَحْكامَ عادٍ وأُدَد[٩]
ودُرْ مَعَ الدَّهرِ كما دارَ ولَوْ طالَ الأَمَد
وسِرْ مَعَ الرَّوْدِ[١٠] ودَعْ حَرَّ السَّمُومِ[١١] والوَمَد[١٢]
وَاعدِدْ دواءَ الدَّاءِ للـدهرِ وإكحـالَ الرَّمَد
وَاسلُ رواءَ مـاطرٍ لماطلٍ ولو رَعَد[١٣]
للمرءِ سهمٌ مُرْسَلٌ وهمًا وكم سهمٍ صَرَد[١٤]
وكم وكم حُلوٍ لهُ مرٌّ وكم وارٍ صَلَد[١٥]

---

(١) الخمر. (٢) بقر الوحش . يكنى بها عن النساء الحسان العيون .
(٣) الجدال . (٤) أى فعل بغير قصد . (٥) أى أصابك بالسوء .
(٦) قصد . (٧) نقيض عكس . أى كن مخالفاً لهوى نفسك . (٨) افتعل من الطرح . (٩) عاد أحد آباء العرب البائدة وأدد أبو قبيلة من اليمن وكلاهما من جاهلية العرب . أى اطرح أحكام الجاهلية المتعسفة . وهى كما يحكى عن عمرو بن فحذ العبسى أنه كان يقول لبنى عمه من كلمكم فاشتموه . ومن شتمكم فاضربوه . ومن ضربكم فاقتلوه . ومن قتلكم كلفته إما أن يحييكم ويعطى الدية ، وإما أن يعطى الدية وأقتله . وأمثال ذلك كثيرة عندهم فلا نطيل الكلام بذكرها .
(١٠) الريح الليلة . (١١) الريح الحارة نهاراً . (١٢) شدة الحر ليلا . يأمره بالملاينة والملاطفة وترك التعسف والدخول فى المسالك العسرة . (١٣) أى لا تثق بكلام المماطل الذى لا يفى بوعده ولا ترج أن تروى بمطر من سحابه ولو سمعت له رعداً . ولكن ينبغى أن تسلوما ترجوه منه إذ لا مطمع فيه . (١٤) أخطأ . أى أن الإنسان يرسل سهام ظنه كثيراً ولكن كثير منها يخطىء ولا يصيب . (١٥) يقال ورى الزند إذا أخرج ناراً فإن لم يخرج يقال صلد . يقول إن الحلو من الناس يصير مراً فى أحيان كثيرة . والمعهودة إفادته يذهب أحياناً كثيرة بلا فائدة . وذلك على خلاف ظن الإنسان فينبغى له أن لا يثق بظنه .

هَولُ الحِمامِ [١] طالعٌ مَطلَعَ [٢] رَوعٍ [٣] كالأَسَد
كأْسٌ لكُلٍّ دَوْرُها والكلُّ للكأْسِ وَرَد
وكلُّ عُمرٍ كالكَلَا [٤] والدَّهرُ للكلِّ حَصَد
وكلُّ رسمٍ [٥] دارسٌ [٦] وماهدٍ [٧] وما مَهَد
أَللهُ أَهلَ اللهِ را عٍ كلَّ عَدْلٍ وأَوَد
كلُّ هـواهُ عـاملٌ واللهُ للكُلِّ رَصَد [٨]

فقال أحسنتَ يا بُجَيْر [٩]. يا سُلافة [١٠] الدَّير. ثم نادى يا عِكْرِمة [١١] هاتِ أبياتَكَ المُعجَمة [١٢]. فبَرَزَ غُلامٌ أَتقى من العاج [١٣]. وأَجملُ من نصر بن حَجَّاج [١٤]. وأَنشد :

بِشَجِيٍّ [١٥] يبيتُ فى شَجَنٍ [١٦] فِتَنٌ [١٧] يَنتَشِبْنَ [١٨] فى فِتَنِ [١٩]
شَيِّقٌ [٢٠] تَيِّقٌ [٢١] تُجُنِّبَ [٢٢] فى [٢٣] نَفَقٍ [٢٤] ضَيقٍ بَقِى فَفَنِى [٢٥]

---

(١) الموت . (٢) طلوع . (٣) مخافة . (٤) الحشيش .
(٥) بقية الدار. (٦) يقال درس الرسم أى انمحى . (٧) أى وكل ماهد على حد قوله :

أكل امرئ تحسبين امـرأ ونار تأجج فى الليـل نارا

(٨) رقيب . أى يا أهل الله إن الله يراقب كل استقامة وعوج . (٩) اسم رجل .
(١٠) خمرة . (١١) اسم رجل . (١٢) المنقطة . (١٣) عظم الفيل تصنع منه الأوانى . (١٤) هو رجل من أهل المدينة يقال له نصر بن حجاج بن علاط السلمى كان بارعاً فى الجمال وله قصة مع الفارعة أم الحجاج بن يوسف الثقفى حين قالت :

هل من سبيل إلى خمر فأشربهـا أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

(١٥) صفة من قولهم شجى به أى اشتغل . وهو خبر مقدم . (١٦) حزن .
(١٧) مبتدأ مؤخر . (١٨) من انتشاب السهم . (١٩) أى داخلة فى فتن أخرى . (٢٠) صفة من الشوق . (٢١) من التوق وهو ميل النفس .
(٢٢) مجهول تجنب . (٢٣) متعلقة بقوله بقى فى أواخر البيت . (٢٤) سرب فى الأرض . كناية عن الحبس والضيق . (٢٥) أى أن بقاءه فى هذا الضيق كان سبباً لفنائه .

شَغَفٌ(١) شَفَّنِى (٢) بذى (٣) ثقةٍ (٤) نَجِبٍ (٥) شَنٌّ (٦) جيشَ ذى يَزَنٍ (٧)

شيبةٌ (٨) فى شبيبةٍ خُضِبَتْ (٩) بشقيقٍ (١٠) غَضٌّ (١١) يَنِضُّ (١٢) جَنِى (١٣)

بينَ جنبىَّ شُقَّةٌ (١٤) خَشُنَتْ فى (١٥) قضيض (١٦) تُبِيتُنى خَشِنِ (١٧)

قِضْتُ (١٨) جَفْنى بيقظةٍ ثَبَتَتْ (١٩) غِبَّ (٢٠) بينٍ (٢١) فَبِتُّ فى غَبَنِ (٢٢)

بى (٢٣) شقيقٌ (٢٤) يغيبُ غيبةَ ذى ضَغَنٍ (٢٥) بَيِّنٍ (٢٦) تَجَنَّبَنى (٢٧)

شيخُ فنٍّ فَتًى شِنْشِنَةٍ (٢٨) شَبَّ فى بيتِ نُخبةٍ فبُنِى (٢٩)

يَنتَقِى (٣٠) زَينَ جَنَّةٍ جُنِيَتْ يَتَّقِى شَينَ ضِنَّةٍ (٣١) بغنى

غَيثُ (٣٢) فيضٍ يَفِى فينبُتُ فى قُنَنٍ (٣٣) بغتةً بذى (٣٤) قَنَنِ (٣٥)

---

(١) شدة الحب . (٢) أنحلنى . (٣) الباء متعلقة بالشغف .
(٤) أى بحبيب يوثق به . (٥) كريم . (٦) شن الغارة على القوم أى فرقها عليهم من كل جهة . (٧) ملك من ملوك اليمن . ويزن اسم واد كان يحميه فقيل له ذو يزن . يقول إن هذا الحبيب الذى أنحلنى حبه أغار على بهموم وأحزان من هجره كأنها جيش هذا الملك . (٨) أى فى شيبة . (٩) صفة لشيبة . (١٠) يريد النبات الأحمر الزهر . كنى به عن حمرة الدمع التى صبغت شيبته . (١١) طرى . (١٢) يرشح .
(١٣) نعت آخر لشقيق . يقال ثمر جنى أى قريب العهد بالقطف . (١٤) مسافة . كنى بها عن أحشائه . (١٥) متعلقة بقوله تبيتنى . (١٦) مكان غليظ .
(١٧) نعت قضيض . (١٨) من المقايضة بمعنى المبادلة . (١٩) أى دامت .
(٢٠) بعد . (٢١) فراق . (٢٢) يريد أنه سلب النوم من عينيه وأعطاها اليقظة بدلا منه فكان مغبوناً فى هذه المقايضة . (٢٣) أى يفدى بنفسه . (٢٤) أخ .
(٢٥) حقد . (٢٦) ظاهر (٢٧) تحرير معنى البيت أفدى بنفسى أخاً لى يغيب عنى غيبة عدو . (٢٨) طبيعة . (٢٩) يقول إنه شيخ فى علمه وفنونه ولكنه فى سن الفتيان وطبيعتهم . وقد تربى فى بيت السجايا المختارة فعمر ذلك البيت به . (٣٠) يختار
(٣١) بخل : أى هو يختار أطايب الفنون التى يمكن اجتناؤها وتحصيلها ولايبخل بإفادة الناس منها لأن البخل يشين الغنى فهو يتجنبه لئلا يعاب به . (٣٢) مطر . (٣٣) أعالى الجبال .
(٣٤) الباء للتعدية كما فى ذهبت به . (٣٥) غصن رطب يقول إنه مطر يفى حق الرى فينبت سريعاً فى أعالى الجبال منها ذلك التى لا يرجى أشجاراً مخصبة رطبة الأغصان .

فقالَ حيَّاكَ اللهُ يا بُنَيَّ . وأَقَرَّ بك عَينَيَّ[١] . ثم نادى يا صلمَعة بنَ قَلمَعةَ[٢] . أينَ الأَبياتُ الملمَّعة[٣] . فوثب يافعٌ[٤] من الأَنباط[٥] معتدلُ الشَّماط.[٦] . وأنشد :

أَسمَرُ كالرُّمحِ لهُ عامـــلٌ[٧] يُغضى[٨] فيَقضى[٩] نَخِبٌ[١٠] شَيِّقُ

مِسكٌ لَماهُ[١١] عاطرٌ[١٢] ساطعٌ فى جَنَّةٍ[١٣] تشفى شَجٍ[١٤] يَنشَقُ

أَكحلُ[١٥] ما مارَسَ كحلًا لهُ جَفنٌ غضيضٌ غَنِجٌ ضيِّقُ

دُرُّ دمـــوعٍ حـــولهُ كاسدٌ فى جنب زَيفٍ[١٦] بَيِّنٍ يَنفُقُ[١٧]

لا لِعُهودِ الوُدِ راعٍ ولا فى شَجَنٍ[١٨] ذى فتنةٍ يُشفِقُ

ما مالَ إلَّا راعَ[١٩] أحلامَه[٢٠] خِفَّةُ شَنفٍ[٢١] خَنِثٍ يَخفُقُ[٢٢]

---

(١) يقال أقر الله عينه أى أعطاه حتى يكتفى فلا تطمح عينه إلى من هو فوقه . وقيل حتى تبرد ولا تسخن لأن للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة . (٢) كناية عمن لا يعرف نسبه . (٣) التى شطر منها مهمل من النقط وشطر معجم كما ترى . (٤) شاب . (٥) قوم ينزلون سواد العراق . (٦) حسن القامة . (٧) سنان . أراد به عينه الشبيهة بالسنان فى الهيئة والمضاء . وهى استعارة مدلول عليها بقوله يغضى وهو من خواص العين . (٨) يكسر جفنه . (٩) يموت . (١٠) رجل لا قلب له . (١١) اللمى سمرة مستحسنة فى الشفة يشبهونها بالمسك . (١٢) فائح الرائحة . (١٣) كناية عن وجهه . (١٤) أراد به المحب المشتغل القلب . وحذف الياء منه فى حال النصب تجوزاً كما فى قوله :

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها

وكان الوجه أن يقول بادياً . (١٥) أهداب عينه سوداء خلقة . (١٦) غش . (١٧) أى دموع المحبين التى يذرفونها حوله كالدر كاسدة بإزاء غش الوشاة الذى هو نافق عنده . (١٨) حزن . (١٩) جعله يعجب . (٢٠) جمع حلم وهو الأناة والعقل . (٢١) حلية تعلق فى أعلى الأذن . (٢٢) يقول إن له تعقلا ووقاراً فإذا مال اضطرب شنفه فى أذنه فتعجب وقاره منه . وذلك كناية عن كثرة تردده فى الميل للين قوامه .

ولاحَ سطرُ[١] الآسِ[٢] أكمامُهُ[٣] بينَ شقيقٍ[٤] غَضَّةٌ تُفتَقُ[٥]

فقال عِشتَ ونُعِشت . يا زهرةَ البَنْجَكِشْت[٦] . ثم قال قم يا أبا الهيفاء[٧] وأَنشِدِ الأبياتَ الخيفاء[٨] . فقام فتًى ميمون النَّقيبة[٩] أنقى من مرْآة الغريبة[١٠] . وأنشد :

ظبيةٌ[١١] أدماءُ[١٢] تُفنى الأَمَلا خَيَّبَتْ كلَّ شجيٍّ[١٣] سألا

لا تَنى العهدَ فتشفينى[١٤] ولا تُنجِزُ الوعدَ فتشفى العِلَلا

غَضَّةُ[١٥] العُودِ تَثَنَّت[١٦] مَرَحًا[١٧] بَضَّةَ[١٨] اللَّمسِ تَجَنَّتْ[١٩] مَلَلا[٢٠]

تقتضى أحكامَ بغيٍ طالما نَفَذَت أحكامُها بينَ المَلا

بجبينٍ[٢١] كهلال فَتَنَتْ كُلَّ ذى علمٍ يَزِينُ العَمَلا

فى لَمَاها بنتُ كرمٍ[٢٢] تختشى سُكرَ جَفنٍ حكمُهُ نقضُ الولا[٢٣]

بينَ ورد[٢٤] شَفَةٌ واردُها يبتغى الماءَ فيجنى العَسَلا

دُرَرٌ بيضٌ لها فى أحمرٍ فى سوادٍ بين مسكٍ فى طِلا[٢٥]

---

(١) صف . (٢) كناية عن عذاره وهو ما نبت من الشعر فى صفحة وجهه .
(٣) جمع كم وهو غلاف الزهر . (٤) النبات المعروف . كنى به عن خده .
(٥) أى تنشق . (٦) القرنفل . (٧) اسم امرأة . (٨) التى كلمة منها منقطة وكلمة بلا نقط . مأخوذة من خيف العينين وهو أن تكون الواحدة سوداء والأخرى زرقاء . (٩) مبارك النفس . (١٠) مثل يضرب فى النقاء لأن المرأة الغريبة لا تزال تتعهد مرآتها وتجلوها . (١١) غزالة . (١٢) صفة من الأدمة وهى سمرة تضرب إلى البياض . (١٣) حزين . (١٤) تسكن غيظى .
(١٥) رطبة . (١٦) تمايلت . (١٧) نشاطاً . (١٨) رخصة .
(١٩) من الجناية . (٢٠) ضجراً . (٢١) متعلق بقوله فتنت . (٢٢) خمرة .
(٢٣) يريد أن جفنها شديد الإسكار حتى إن الخمرة تخاف أن يسكرها . ثم يقول إن هذا الجفن حكمه نقض العهد لأنه يخلف ما يشير به من الأنس إلى من يناظره كما قال الشاعر :

وعد لعينيك عندى ما وفيت به يا طالما كذبت عينى عيناك

(٢٤) عبارة عن خدها . (٢٥) كنى بالدرر عن الأسنان . وبالأحمر عن اللثة =

فِتنةٌ[١] صَمّاءُ[٢] يَثْنى[٣] وصلها فِتنةَ[٤] الدّاءِ فتبغى حِوَلا[٥]
شَنَّفَت[٦] سَمْعَ شجىٍّ[٧] كُلَّما قَبَضَتْ عُودًا[٨] فغَنَّت رَمَلا[٩]

قال عافاكَ وشفاك. ولا فضَّ[١٠] فاك[١١]. ثم نادى يا أبا الشَّمطاء[١٢]. علىَّ بأبياتك الرقطاء[١٣]. فوَثَبَ غُلامٌ من الخواص. كدُرَّة الغَوَّاص. وأنشد :

وَنديمٍ باتَ عنـدى ليلةً منـهُ غليلُ[١٤]
خافَ من صُنعِ جميل قُلتُ لى صبرٌ جميل
قُرَّةٌ[١٥] لى ميلُ قلبٍ منكَ يا غُصنًا يميلُ
سيِّدى[١٦] رِقَّ لِذِلّى سَيِّـدى عبدٌ[١٧] ذليلُ
قلبُهُ قد ذابَ من وجـ ـدٍ[١٨] بهِ[١٩] ظلَّ يسيلُ
لَذَّ لى حَجْرٌ[٢٠] قديمٌ تحتَ هجـرٍ يستطيلُ
قاتلى وجـهٌ بديعٌ زاجـرى عنـهُ قليلُ

فلما استتمّ الإنشاد. وقف الشيخُ بالمِرصاد[٢١]. وقال أُعِيذكم بالله من أعيُن الإنس وأنفُس الجان. فقد خرج من أفواهكم اللُّؤْلؤُ والمَرْجان.

= وبالسواد عن اللمى أى السمرة فى الشفة كما مر. وبالمسك عن النكهة وهى رائحة الفم . وبالطلا أى الخمر عن الريق .

(١) أى هى فتنة . (٢) شديدة . (٣) يرد . (٤) بلية أو عذاب .
(٥) أى أن وصلها يدفع فتنة الداء فتتحول عن المريض . (٦) وضعت شنفاً وقد مر .
(٧) طروب مشتغل القلب . (٨) آلة طرب . (٩) نوع من ألحان الغناء مركب من النوى والعراق . (١٠) فرق . (١١) يريد به أسنانه . (١٢) اسم امرأة .
(١٣) التى حرف منها مهمل وحرف معجم . (١٤) حرارة العطش . وهو فاعل بات .
(١٥) ما قرت به العين . (١٦) منادى. (١٧) أى أنا عبد . (١٨) شوق وحزن .
(١٩) الضمير للوجد . (٢٠) حبس عن التصرف (٢١) المكان الذى يرصد فيه .

ولقد أباهى[١] بكم كلّ من نَطَقَ بالضاد[٢]، حتى يُقالَ أينَ العينُ[٣] من الصاد[٤]. قال سهيلٌ فلما انتهت الكِنانة[٥] إلى الأهزَع[٦]. ولم يبقَ فى القوس مَنزَع[٧]. وَثَبَ الشيخُ ميمون. كأنهُ رَيبُ المَنون[٨]. وقال ما بالُك ذكرتَ اللَّجِين[٩] وتركتَ اللجَين[١٠]. أين عاطلُ العاطل الذى لا نقطَةَ فى اسمهِ ولا مُسمَّاهُ كالدَّال دون العين[١١]. قال هيهات ذلك مما يُخال[١٢]. ولا يُقال. حتى يُصاغَ من الخاتم خَلْخال. فإن استطعتَهُ جعلناك حالىَ الحالى فى الحال[١٣] فصوَّب[١٤] الشيخ نظرَهُ وصعَّد[١٥]. ثم اقعَنْسَسَ[١٦] وأنشد:

حَولَ دُرٍّ[١٧] حَلَّ[١٨] وَرْدٌ[١٩] هل لهُ للحرِّ وِرْدُ[٢٠]

---

(١) أفاخر. (٢) يكنى بمن نطق بالضاد عن العرب لأن هذا الحرف لا يوجد إلا عندهم. (٣) الذهب. (٤) النحاس (٥) الجعبة التى توضع فيها السهام. (٦) آخر سهم فى الكنانة. (٧) مصدر قولهم نزع فى القوس إذا جذب وترها. يريد بذلك أن القوم أفرغوا جهدهم حتى لم يبق لهم شىء. (٨) حوادث الدهر. (٩) الزبد الذى يخرج على شدق البعير. (١٠) الفضة. أى مالك ذكرت الخسيس وتركت النفيس. (١١) العاطل هو الحرف الذى لا نقطة له. مأخوذ من عطل المرأة وهو خلوها من الحلى. ونقيضه الحالى وهو المنقط. مأخوذ من الحلية وهى ما يتزين به من الذهب والفضة. والعاطل قد يكون بالنظر إلى مسماه فقط كما فى الأبيات السابقة مع قطع النظر عن اسمه كحرف العين مثلا فإنه باعتبار مسماه إذا وقع فى التركيب لا تلحقه نقطة. ولكن باعتبار اسمه عا تقع فيه الياء والنون من قولك العين. وقد يكون بالنظر إليهما جميعاً كالدال فإنها إذا وقعت فى التركيب لا تنقط. وكذا إذا نطق باسمها لم يكن لها نقطة أيضاً كما ترى. ولذلك سماه عاطل العاطل. وهو لم يسبق إليه أحد من الشعراء. (١٢) يظن ويتصور فى المخيلة. (١٣) أى لا ينظم شعر من هذا النوع ولا يبنى كلام حتى يصاغ من الخاتم خلخال. يريدون أن ذلك مستحيل ولذلك علقوه على أمر مستحيل لأن الخاتم لا يمكن أن يصاغ منه خلخال. وذلك لأن الحروف التى هى عاطل العاطل ثمانية فقط. وهى الحاء والدال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو. فلا يسع المتكلم أن يركب منها كلاماً كثيراً. ولذلك قالوا له إن استطعته جعلناك حالى الحالى مقابلة لعاطل العاطل. أى أعطيناك عطاء كثيراً تتزين به حتى تكون زينة المتزينين. (١٤) أحدر. (١٥) رفع (١٦) أخرج صدره وأدخل ظهره. (١٧) عبارة عن الأسنان. (١٨) نزل. (١٩) عبارة عن الخد. (٢٠) أى هل للرجل الكريم ورود إليه.

لِحَصُـــورٍ[١] حُلوِ وَصْلٍ وِرْدُهُ للصحْو طَرْد
ولهُ صَوْلٌ[٢] وطَولٌ[٣] وله صَـــدٌّ ورَدٌّ
دَهـــرُهُ حَـــرٌّ صُدُورٍ هـــل لهُ للهِ حَدُّ[٤]

قالَ فلما اعتبر الجماعة . سِرُّ تلك الصِّناعة . تكأْكأُوا[٥] عليهِ من الأَمام والخلف . وقالوا رُبَّ واحدٍ يُعدَلُ بـأَلف . وإنَّا لنراك شاسع[٦] الوَطَن . واسع الفِطَن . فخذ هذِهِ النَّفَقَةَ عَدًّا[٧] . وإن شئتَ أن تُقيم معنا أجرينا عليك ماءً عِدًّا[٨] . قال حَبَّذا لولا دَينٌ أثقَلَ حاذى[٩] . وحالَ[١٠] دون نفاذى . وهذا غريمى[١١] قد لَصِقَ بى كالقار . ولو هبطتُ إلى النَّار . حتى أسعى لهُ بِمائة الدِّينار[١٢] . قال فنَقَدُونى مائةً نَدَرى[١٣] . وقالوا قد صادفتَ قَدَرًا[١٤] فاتَّخِذْ لوِردك صَدَرًا[١٥] . فَشَكَرَ الشَّيخُ ذلك الامتنان[١٦] . وأنشد بصوتٍ مِرنان[١٧] :

ساعِدونى على جميلِ الثَّناء عن جميلٍ أضاعَ حقَّ الوفاء[١٨]
وهَبُونى قلبًا يقومُ أمامى فأَنا قد تركتُ قلبى ورائِى[١٩]

---

(١) يعنى أن هذا الدر والورد لشخص حصور أى بخيل ضيق الخلق . (٢) سطوة . (٣) غلبة . (٤) أى كل أيامه حرارة لصدور المحبين فهل له حد يقف عنده . واستخرج من قوله هل له لله الجناس المستوى المقلوب . (٥) اجتمعوا (٦) بعيد . (٧) معدودة أى محصورة فى عدد معلوم . (٨) لا ينقطع . أى جعلنا لك نفقة جارية مستمرة . (٩) ظهرى . (١٠) اعترض . (١١) الإشارة إلى سهيل يدعى أنه هو غريمه الذى له الدين . (١٢) أى بمائة الدينار المعهودة . إشارة إلى أن له عليه هذا القدر . (١٣) يقال أعطاه مائة ندرى أى أخرجها له من ماله . (١٤) أى عناية من الله . (١٥) رجوعاً . أى اكفف عن ملازمته . (١٦) الإنعام . (١٧) مفعال من الرنين . (١٨) يقول يا أيها الناس ساعدونى على شكر هذا الجميل الذى أضاع منى حق الوفاء . وهو قد أراد الإيهام بهذه الأبيات . فقوله أضاع حق الوفاء يحتمل أن يكون قد أضاع حق الوفاء بالشكر عنه . وحق الوفاء بالعهد على رجوعه إليهم وإقامته معهم . (١٩) يحتمل أن يكون قد ترك قلبه عند الجماعة الذين يريد أن يفارقهم . وعند أهله الذين يريد أن يرجع إليهم .

بَشِّروا زوجتى وأُمِّى وأُختى وغُلامى براحةٍ وهناءِ[١]
فعلى الرَّملةِ ٱبتنيتُ عُهُودى وعلى الدَّرس قد عقدتُ وَلائى[٢]

قال فأُعجِبَ القومُ بأَبياتِهِ المُخِيلة[٣]. ولم يأْبَهوا[٤] لما فيها من الدخيلة[٥]. ثم ضرب[٦] الشيخ لهم مَوعِدًا[٧]. ووَدَّعَهم مرتعدًا. وخرج من بينهم وعَدا[٨] فلما بِنَّا[٩]. وأَمِنَّا[١٠]. قال يَهنِئُكَ المَغنَمُ البارد[١١]. فرُبَّ ساعٍ لقاعد[١٢]. وإن الحسنَات. يُذهِبنَ السَّيِّئات. فاغتَفِرْ ما فات[١٣]. لكنِ ٱغرُبْ إلى حيثُ لا مُناقش[١٤] لِئلا يَفرُط منك بادرة[١٥] فتجنى على أهلها بَراقِش[١٦]. وأنا غداةَ غدٍ أَخرُجُ من المُحيط[١٧]، وأَدَعُ القومَ ينتظرونَ حتى يَرجِعَ نشيط[١٨]، ثم كَبَّرَ واستغفر. وأَنشد حين أدبر :

---

(١) يحتمل أن تكون هذه البشارة لأهله محمولة على السعادة وهم فى أوطانهم. وعلى الانتقال إلى الرملة حيث يجدون الراحة ورغد العيش فلا يتحولون عنها. (٢) يحتمل أن يراد بالرملة اسم البلد فيكون البناء صحيحاً. وقطعة الرمل فيكون ساقطاً. وكذلك الدرس يحتمل أن يكون من مراجعة القراءة فيشير إلى حفظ العهد. ومن المحو كما فى قولهم درست الريح رسم الدار فيشير إلى نكثه.
(٣) الموهمة. (٤) يغفلوا. (٥) الدسيسة الباطنة. (٦) أى جعل.
(٧) أى ميعاد لرجوعه. (٨) أسرع. (٩) أبعدنا. (١٠) من الأمن. أى أمنا أن يطلع أحد على ما نتكلم به. (١١) أى الغنيمة التى نلتها بلا تعب يعنى الدنانير.
(١٢) أى رب شخص يسعى لأجل آخر قاعد عن السعى وهو مثل أصله أن قوماً من العرب وفدوا على الملك النعمان بن المنذر وكان فيهم رجل من بنى عبس يقال له شقيق فات عند النعمان. ولما أنعم عليهم الملك بالعطايا بعث إلى أهل شقيق بمثل عطية القوم. وكان عنده النابغة الذبيانى فقال رب ساع لقاعد فذهبت مثلا. (١٣) يشير بقوله ما فات إلى ما كان يرزأه به أحياناً كما مر.
(١٤) محاسب. (١٥) ما يسبق به اللسان. (١٦) مثل أصله أن قوماً كانوا هاربين من وجه أعداء لهم وكان لهم كلبة يقال لها براقش. فبينما هم يسيرون ليلا نبحت وكان الأعداء بالقرب منهم يفتشون عليهم فاهتدوا إليهم بنباح الكلبة وأوقعوا بهم فسار بها المثل. يقول لسهيل أن يعتزل إلى مكان لا يخشى فيه رقيباً يحاسب عليه فى مكره لئلا يسقط بكلمة فيعرف القوم أنه قد مكر بهم. فيكون سهيل قد أحدث هذه الجناية. (١٧) أخذه من محيط الدائرة. أى أخرج من دائرة البلد.
(١٨) هو رجل من مرو كان بناء. بنى لزياد ابن أبيه داراً بالبصرة وانصرف إلى مرو قبل =

رأيتُ النَّاسَ قد قاموا على زُورٍ وبُهتانِ[١]
فلا يَرعَون ميثاقًا ولا حُـرمةَ إحسانِ
فإن راعيتَ إنسانًا فما أنتَ بإنسانِ[٢]

قال سهيلٌ فتركْتُهُ وانطلقتُ من هناك . ولم أدرِ ماذا فَتَكَ بعد ذاك .

المقامة البصرية

حَدَّثَنا سهيلُ بنُ عَبَّادٍ قال : قَدِمتُ البَصرةَ ذاتَ العُوَيم[٣] . فى رَكْبٍ من بنى الهُجيم[٤] . فجعلتُ أطوفُ بها ما أطوف . حتى انتهيتُ إلى مِرْبَدها[٥] الموصوف . وإذا فى ساحتهِ قومٌ قد تَوَسَّدوا ثراها[٦] . وهم كالحلقةِ المُفرَغة لا يُدرى أين طرفاها[٧] . فطارحتهُم سُنَّةَ التسليم . وقلتُ هل فى الكأس حظٌّ لنديم[٨] . قالوا قد أتيتَ أهلًا ونَزَلتَ سهلًا[٩] . فجلستُ لديهم جُلوسَ التلاميذ . بحضرة الأساتيذ . وأخذوا يتداولونَ

= إتمامها . فكان ينتظر رجوعه وكلما قيل له تم دارك يقول حتى يرجع نشيط من مرو . فذهب قوله مثلا .

(١) كذب . (٢) أى أن الناس قد تخلقوا بهذه الأخلاق حتى صارت طبيعة لهم . فإن لم تكن مثلهم لم تكن إنساناً منهم . (٣) أى فى بعض الأعوام . (٤) بطن من بنى تميم . (٥) ساحة تحبس فيها القوافل . وكانت العرب تجتمع إليها من الأقطار فكانوا يتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون كما يفعلون بسوق عكاظ . (٦) أى اضطجعوا على ترابها . (٧) هذا مثل قالته فاطمة بنت الخوشب الأنمارية امرأة زياد العبسى . كان لها سبعة أولاد ذكور من نجباء العرب فقيل لها يوماً أى أولادك أفضل قالت الربيع لا بل عمارة لا بل فلان . ثم قالت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل . هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . أى هم كالدائرة لا يدرى أولها من آخرها . (٨) أى هل لى نصيب فى مجالستكم . (٩) هذا تقدير قولهم للقادم أهلا وسهلا فصرح به هنا .

الفنونَ ويُبرِزون كلَّ مكنون . حتى خاضوا فى فنِّ البديع[١] . وأفاضوا فى التجنيس والتنويع[٢] . وكان فى صدر الحلقةِ شيخٌ أفطَسُ العَرْتَبة[٣] كأنه أحدُ الأَغْربة[٤] فقال قد علمتم أيها الناس . أن أعظم الجناس . مالا يستحيل بالانعكاس[٥] . فمن ظفر بفرائدهِ[٦] . الحسنى فازَ بالمقام الأَسنى[٧] . وسُلِّمَ له البديعُ لفظًا ومعنًى . قالوا نراكَ من أهل الدّار . وفرسانِ المِضمار[٨] . فحدِّثْ بنعمة رَبِّك . ولا تكتم ذخيرةَ لُبِّك . قال نعم كنتُ قدنظمت أبياتًا منه فى الصِّباء . وهى معجزة عند الأُدباء . قالوا إن رأيتَ أن تُنشِدَنا إياها فلك المِنَّة . وقد دفعتَ عن نفسك الظِّنَّة[٩] . فتلا إنَّ بعضَ الظنِّ إثم . ثم قال اسمعوا يا أولى العلم . وأنشد يقول :

قَمَرٌ يُفرِطُ عَمْدًا مُشرِقُ رَشَّ ماءً دمعُ طَرْفٍ يَرمُقُ[١٠]

قُرطُهُ يَغمدى جِلاهُ أَيْمَنٌ من مياهِ الجِيد فيهِ طُرُقُ[١١]

---

(١) هو الفن المشهور . قيل أول من وضعه عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى وصنف فيه كتاباً لطيفاً . وكانت وفاته سنة مائتين وست وتسعين للهجرة .

(٢) من البديع ما يقال له الجناس وهو اللفظى . ومنه ما يقال له النوع وهو المعنوى . وهذا هو المراد هنا بالتجنيس والتنويع . (٣) الأنف . (٤) أى أغربة العرب وهم سودانهم سموا بذلك لسوادهم . وهم فى الجاهلية عنترة بن معوية بن شداد وخفاف بن ندبة وأبو عمير بن الحباب وسليك بن السلكة وهشام بن عقبة وهومن المخضرمين . وفى الإسلام عبد الله بن خازم وعمير بن أبى عمير وهمام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر بن أوفى وتأبط شراً والشنفرى وحاجز . (٥) هو جناس يقال له المقلوب المستوى أيضاً . وهو أن يأتى المتكلم بكلام يستوى فى القراءة طرداً وعكساً نحو رمح أحمر . فإنك إذا ابتدأت فى القراءة من آخر حروفه بالتبعية إلى أولها كان الحاصل من ذلك رمح أحمر أيضاً . وكذلك أرض خضراء وعقرب تحت برقع وكل فى فلك وغير ذلك . (٦) جمع فريدة وهى الدرة الكبيرة فى العقد . (٧) الأشرف . (٨) الميدان . (٩) أى إذا أنشدتها دفعت عن نفسك التهمة بأنك قد ادعيت بما ليس عندك . (١٠) قوله يفرط أى يتجاوز الحد ويرمق ينظر . أى أن العين التى تنظره ترش دمعها فى محبته . (١١) القرط ما يعلق فى أسفل الأذن . والجيد العنق . يعنى أن قرطه المعلق فى أذنه اليمنى يكون فداء لنقاء بدنه لأنه أنقى منه . وأراد بالمياه المضافة إلى الجيد مايكون فى نصل السيوف من الفرند تشبيهاً لجيده بالسيف فى البياض واللمعان . أى أن جيده يكسو القرط فرنداً تتشعب منه طرق فيه كما يتشعب فرند السيف فى صفحته .

قَبَسٌ يدعو سناهُ إن جَفا فجناهُ أُنسُ وعدٍ يَسبُقُ(١)
قد حلا كاذبُ وعدٍ تابعٌ لَعِبًا تدعو بذاكَ الحَدَقُ(٢)
قَرَّحَت ذا عَبَرَاتٍ أربَعٍ عَبَرَاتٌ أربَعٌ إذْ تُحرِقُ(٣)
قَلِقٌ يَلثِمُ نادى عَبْلَةٍ لبعيدٍ إنَّ مِثلى قَلِقُ(٤)
قَفرةُ الربعِ أهالت فِتيَةً فَتَلاها عِبَرٌ لا ترفُقُ(٥)
قد حماها رَكْبُ ليلٍ حافظٌ فاحَ ليلٌ بِكَراها مُحدِقُ(٦)
قَرَّ فى إلْفِ نَداها قلبُهُ بِلقاها دَنِفٌ لا يَفرَقُ(٧)
قَطَنَتْ هَيْفاءُ فيهِ آمِنًا إنَّما هيفاءُ فيهِ تَنطِقُ(٨)
قِفْ أَلَا قاضٍ فإنى ضاقَ بى رَيبُ قاضينا فضاقَ الأُفُقُ(٩)

---

(١) القبس شعلة النار . وسناه نوره . أى أن نور هذا القبس يدعو الناس إليه كما تدعو الأضياف نار القرى . فإن جفا كانت الفائدة منه التعلل بما سبق من وعد هذه النار بالضيافة . (٢) الإشارة فى قوله بذاك إلى اللعب من باب وضع المظهر موضع المضمر كما فى قول الشاعر تريدين قتلى قد ظفرت بذلك . أى قد حلا وعده الكاذب الذى يتبع تلاعب أحداقه التى تدعو به إلى الهوى . (٣) قوله ذا عبرات أى صاحب دموع يريد به العاشق . ويمكن أن يكون على تقدير حذف مضاف أى جفن ذى عبرات أو محاجره ونحو ذلك . وذكر أنها أربع لأن كل عين يسيل منها عبرتان من طرفيها . وقوله إذ تحرق لأن دموع الحزن حارة فهى تقرح بحرارتها . (٤) النادى المجلس . والعبلة المعتلئة البدن . وبعيد صفة لموصوف محذوف . أى يقبل أرض نادى امرأة هذه صفتها . وهذا النادى لصاحب بعيد كناية عن رحيل قومها بها . وقوله إن مثلى قلق أى أن مثلى لا بد أن يكون قلقاً وهو التفات من الغيبة إلى التكلم . (٥) يقول إن هذه الحبيبة قد أقفرت دارها لرحيلها فألقت هولا على الفتيان الذين يتصببون بها فجرت وراءها منهم دموع متواترة لا تتلطف بهم ولا تكف عن سيلانها . (٦) أى أنها مصونة تحميها فرسان فى الليل عند نومها . ثم يقول إن الليل الذى تنام فيه يتعطر بأنفاسها فتفوح روائحه . (٧) نداها جودها . والدنف المريض المجهود . وهو مبتدأ والجملة قبله خبر . ويفرق يخاف . أى أن هذا العاشق المريض كان قد استقر قلبه من الخفقان عند ألفته على جودها باللقاء . فكان طيب القلب لا يخاف . (٨) هيفاء اسم الحبيبة أى أنها سكنت فى قلبه فأمن بذلك . وإذا تكلم فهى التى تتكلم فى قلبه لأن الكلام ينبعث من القلب . (٩) يقول لصاحبه قف على . أليس قاض آخر ينصفنى فإن بغى قاضينا نحن العشاق قد جعلنى فى ضيق حتى ضاقت على جوانب الأرض .

قَلَمٌ يجرى سيَلْقَى ضَرَمًا مُرَّ ضِيق ليس يُرجَى مَلَقُ[١]
قِيلَ افتَح بابَ جارٍ تَلْقَهُ قُلتُ راجٍ بابَ حتْفٍ أَليقُ[٢]
قَلَّ طَعْمٌ دُونَهُ رُدَّ بكم كَبِدٌ رَهْنٌ ودمعٌ طَلِقُ[٣]

فلما فرغَ من أبياتهِ صَفَّقَ القوم . وقالوا لا عهْد لنا بمثل هذه قبل اليوم . فإن هذا الجناس كالعدد المعدول . لم يتجاوز أربعةً فى المنقول[٤] قال سهيلٌ فانبَرى لَهُ رجلٌ أشمطُ.[٥] العارضَين[٦] . يكادُ يشربُ الرافدين[٧] . وقال يا هذا إن الفخرَ بالأثير[٨]. لا بالكثير . وإنما يُنافَسُ فى الثّمين . لا فى السّمين . فكم فِئةٍ قليلة غَلَبتْ فِئةً كثيرةً بإذن اللهِ واللهُ معَ الصّابرين . قال صدقتَ إن خير الكلام ما قَلَّ وجَلَّ . ولكن من ادَّعى بلا بَيِّنَةٍ فقد زَلَّ وذلَّ . قال أعوذُ بالله من زَلَّةِ العمْد[٩]. وسفاهة

---

(١) المراد بالضرم النار وبالملق التلطف . أى أن قلم هذا القاضى الذى يجرى فى الحكم علينا سيلقى ناراً من عذاب الله . وقوله ليس يرجى ملق يحتمل أن يكون صفة قد حذف عائدها كما فى نحو واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً أى لا تجزى فيه . فيكون التقدير ليس يرجى له ملق . ويحتمل الاستئناف على تقدير سؤال كأنه قيل أليس يرجى له ملق فقال ليس يرجى . (٢) حاصل ما فى البيت أنه يقول قد أشير على باستبدال هذه الحبيبة البعيدة بغيرها ممن حولى من الجيران فقلت إن الراجى لفتح باب الموت أجمل من الراجى لفتح باب الاستبدال . (٣) انصرف فى هذا البيت إلى خطاب أحبته فقال إن الطعم الذى يؤدى فى محبتهم إلى فك كبده المرهونة وكف دمعه الطلق هو قليل لا يعتد به . أشار بذلك إلى الحتف المذكور فى البيت السابق أى أن طعمه قليل عنده إذا أدى إلى الرد المذكور لأن الحالة التى هو فيها أمر منه . ويحتمل أن يكون المراد أن طعم الموت المذكور فى البيت السابق هو الذى يفك رهن كبده ويكف انطلاق دمعه وما دون هذا الطعم مما يقضى هذه الحالة فهو قليل فى الوجود . وفى قوله رد بكم على كلا الوجهين استخدام لا يخفى . (٤) العدد المعدول فى نحو جاء القوم أحاد ومثنى ونحوهما أى واحداً واحداً واثنين اثنين وهو لم يسمع من العرب إلا إلى الأربعة فلم يقولوا جاءوا خماس فى رواية الأكثرين . وكذلك هذا الجناس فإنه لم ينظم منه أكثر من أربعة أبيات وهى التى نظمها الشيخ الحريرى فى مقاماته . (٥) مختلط السواد بالبياض . (٦) صفحتى الوجه . (٧) الفرات ودجلة . (٨) النفيس . (٩) أى الزلة التى صدرت عن قصد .

العبد . إنى نظمت بيتين لبعض الأُمراء . طَرْدهما[١] مديحٌ وعكسهما هجاءٌ . فكان يُنظَرُ إليهما بعين الأَحوَل[٢] ويَقْصُرُ عنهما الباعُ الأَطول . قال فهَلُمَّ بما فتح الله عليك . قال لَبَّيك[٣] وسعْدَيك[٤] . وأنشد :

يا هى المَراحِم لابسٌ كرَمًا قديرٌ مُسنِدُ[٥]
بابٌ لكلِّ مُؤَمِّلٍ غُنْمٌ لَعَمْرُكَ مُرفِدُ[٦]

ثم عمدَ إلى قلبهما . فإذا هو يقول بهما :

دَنِسٌ مَريدٌ قامرٌ كَسْبَ المحارم لا يَهابْ[٧]
دَفِرٌ مُكِرٌّ مُعلَمٌ نَغِلٌ مُؤَمِّلُ كلِّ بابْ[٨]

قال فاستفزَّت[٩] القوم تلك الصَّناعةُ العذراءُ[١٠] . وقالوا عِلمَ اللهُ أنها لأَغربُ من العنقاء[١١] . ثم أقبلوا على الرَّجل يَرجُمونه بالأَحداق[١٢] . وقالوا فِداكَ أهل العراق . فمن أنتَ ومن أىِّ الآفاق . فتنهَّد . ثم أنشد :

---

(١) نقيض العكس . (٢) يقال إن الأحول يرى المنظورات مضاعفة فيرى الواحد اثنين والاثنين أربعة وهلم جراً . فيقول إن هذين البيتين إذا عكسا يحصل من عكسهما بيتان غير الأولين بخلاف الأبيات السابقة فإن البيت منها إذا عكس يكون الحاصل منه ذلك الكلام بعينه . وعلى هذا فيكون كل بيت منهما بيتين أحدهما مديح والآخر هجاء وهى صناعة غريبة لم يسبق إليها أحد من الشعراء . (٣) إجابة بعد إجابة . (٤) مساعدة بعد أخرى . (٥) قوله باهى المراحم أى حسن المراحم بناء على أنها تقع منه بحيث تحسن الرحمة لأن من المراحم ما ليس يحسن لوقوعه حيث يجب القصاص . وقوله لابس كرماً أى أن الكرم قد صار لباساً له لشدة اشتماله عليه . وقوله مسند صفة لقدير كالقيد له لأن القدير إذا لم يكن مسنداً للناس فلا خير فى قدرته .

(٦) الغنم بالضم ما تناله بغير مشقة . والمرفد المعين . (٧) المريد العاتى المتجبر . والمقامر الذى يلعب بالقمار . (٨) الدفر النتن وقوله مكر يحتمل أن يكون من الكرير وهو صوت المخنوق أى دفر محدث للكرير بخبثه . أو أن يراد به صاحب الحملة فى الحرب فيكون بكسر الميم وفتح الكاف . والمعلم من وسم نفسه بعلامة الحرب . ووصف هذا الدفر بهما كناية عن شدته وقوة ريحه الخبيث . والنغل الفاسد النسب وهو يعود إلى الرجل المهجو . فكأنه يقول هو دفر شديد وهو نغل أيضاً . (٩) استخفت . (١٠) التى لم يسبق إليها أحد . (١١) طائر يضرب به المثل فى الغرابة لعظم جثته واقتداره . (١٢) أى تتراكم أبصارهم عليه .

أقبلتُ من أرضِ اليمامَه[١] أبغى العِرَاقَ على اسْتِقامَه[٢]
جُبتُ[٣] الدَّلامِسَ[٤] بالعَرَا مِس[٥] فى النِّعامةِ[٦] كالنَّعامَه[٧]
زُرْتُ الكرامَ لأنَّنى قد كنتُ من أهلِ الكَرامَه
أتلفتُ مالى فى النَّدى[٨] لا فى الصَّبابةِ والمُدامَه
أقرى الضيُوفَ وأَقْتَرِى[٩] حَمْلَ الحَمالةِ والغَرامَه[١٠]
وأَسُدُّ خَلَّةَ مُقتِرٍ[١١] وأَرُدُّ لَهفةَ ذى ظُلامَه
وأُجِيزُ كلَّ مُقَرِّظٍ[١٢] عن كلِّ شِعرٍ أو مَقامَه
قسَّمْتُ مالى فى المَلا ونَسِيتُ سَهْمى فى الحُتامَه[١٣]
وسَقَيتُهم مــاءً فَرُحـــتُ كأَنَّنى كعبُ بنُ مَامَه[١٤]
بَرح الخَفا[١٥] فنَدِمتُ لكـــن حيثُ لا تُجدى[١٦] النَّدامَه
دَرَجَ[١٧] الصِّبا والمالُ والنَّـــفسُ العَزيزةُ والشَّهامَه
عذَّبتُ نفسى بالقُنُو طِ[١٨] وعَذَّبَتْنى بالمَلامَه
قد كنتُ أطمَعُ فى الغِنى واليومَ أَقْنَعُ بالسَّــلامَه

---

(١) مدينة قديمة على ست عشرة مرحلة من البصرة إلى نحو الحجاز . (٢) أى على خط مستقيم . (٣) قطعت . (٤) الظلمات . (٥) النياق الشديدة . (٦) المفازة . (٧) تحتمل الطائر المعروف وفرس الحرث بن عباد . (٨) الكرم . (٩) أتتبع . (١٠) ما يتحمله الرجل عن القوم من الدية ونحوها . (١١) أى أقضى حاجة فقير . (١٢) أى أعطى كل مادح جائزة . (١٣) ما بقى على المائدة من الطعام . أى قسمت مالى بين الناس ونسيت أن أترك لنفسى حصة من بقية هذا المال . (١٤) هو الذى سقى رفيقه الثرى نصيبه من الماء ومات عطشاً . (١٥) أى ظهر المكتوم . (١٦) تنفع . (١٧) ذهب . (١٨) قطع الرجاء .

فلما انتهى إلى هذا البيت أنَّ كالمريض . وقال حالَ[١] الجريض[٢] دونَ القريض[٣] . وأثِرَت[٤] شُؤُونه[٥] تفيض. فَرَثى القومُ لبَلْواهُ. وفَشَأُوا[٦] ما جاش[٧] من جَواهُ[٨] وقالوا جَمَع الله شَمْلكَ . فأينَ خَلَّفتَ[٩] أهْلكَ . قال قد خَلَّفتُ الجَرَبَّة[١٠] فى الشَّربَّة[١١] لا يملكونَ حبَّة[١٢]. وهم ينتظرون إيابى[١٣] على الأثر. كما تنتظرُ الأرضُ وَسْمىَّ[١٤] المَطَر. فَجمعوا لهُ قَبصَةً[١٥] من العين[١٦] وقبضةً[١٧] من اللجَين[١٨]. وقالوا إن الكريم أولى بالكَرَم . قالَ نعم . وأهلُ الحُرمةِ يَرعَونَ الحُرَم . قالَ سهيلٌ وكنتُ قد عرفتُ أنه الخزاعىُّ عند نظرى إليه. لكننى أنكرتُ أغبرارَ عارضَيهِ[١٩] فلما فصلنا على المكانِ قُلتُ حيَّا اللهُ أبا ليلى. قال وميمونٌ يفدى سُهيلًا. قلت عهدى بك شيخًا فكيف رَجَعتَ كُهَيلًا[٢٠]. فأنشد :

لا تُنكِرَنَّ ما ترى من الشَّمَط.[٢١] إن السَّوادَ والبياضَ إذ وَخَط.[٢٢]

من طرَفِ الأُمور فآخترتُ الوسط.[٢٣]

---

(١) اعترض . (٢) الريق يغص به . (٣) الشعر . وهو مثل أصله أن رجلا كان له ابن نبغ فى الشعر فنهاه عنه . فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الموت فأذن له أبوه حينئذ فى قول الشعر فقال حال الجريض دون القريض . أى أن غصة الموت حالت بينه وبين قول الشعر فذهب قوله مثلا . (٤) شرعت . (٥) مجارى دموعه . (٦) سكنوا .
(٧) يقال جاشت القدر إذا غلت . (٨) حرقته . (٩) تركت خلفك .
(١٠) العيال يأكلون ولا ينفعون . (١١) مكان فى بلاد العرب . (١٢) من الذهب أو من الحنطة . (١٣) رجوعى . (١٤) مطر الخريف .
(١٥) ما يؤخذ بين الأصابع . (١٦) الذهب . (١٧) ما يقبض بالكف .
(١٨) الفضة . (١٩) أى أنه لم يثبت معرفته لأنه يعهده أشيب فرآه بين الشيب وسواد الشعر لأنه كان قد خضب لحيته . (٢٠) متوسط السن . وفى تصغيره دلالة على قلة كهولته فيكون أميل إلى الشباب . (٢١) اختلاط السواد بالبياض . (٢٢) ظهر .
(٢٣) أى أن السواد والبياض طرفان وما بينهما وسط وهو المختار فإنهم يقولون خير الأمور الوسط .

فانعكفتُ عليهِ انعكافَ المغرم الكَلِف[١] . واعتنقتُهُ اعتناقَ اللام للألِف[٢]. فأخذ يُسايرنى على رِسْلِهِ[٣] ، حتى انتهى بى إلى رَحْلِهِ. وأقمتُ فى صُحْبتِه قريرَ العين . إلى أن نَعَبَ بيننا غُرَابُ البين .

المقامة النجدية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : عَبِثَت بى لواعج الوجد[٤] . إلى زِيارة نجد[٥] فتسنَّمتُ الأكوار[٦]. وطَوَيتُ الأنجاد والأغوار[٧] حتى نقعت[٨] بحلُولها غُلَّتى[٩]. بعدَ اللَّتيَّا والَّتى[١٠]. فلما سَرَت عنى وَعْثَةُ السُّرَى[١١] وقَضَتْ أجفانى وَطَر الكَرَى[١٢]. قُمتُ أطوف الحِلة[١٣] بعد الحِلَّة وأتَفقَّدُ الأحياءَ المُشمَعِلَّة[١٤] حتى إذا كنتُ صبيحةَ يوم . بمُنتَدَى[١٥] زعيم[١٦] القوم. وَفَدَ شيخٌ أوهَى[١٧] من الشِّبام[١٨] ، يليهِ فتًى أشهَى من البَشام[١٩] فجثم[٢٠] الشَّيخُ مُحْقَوْقِفًا[٢١] وانتصبَ الفتى مُحْصَوْصِفًا[٢٢] وقال أعزَّ الله الوالى . وأذلّ أعناق الموالى . إنّ هذا الشّيخ قد استعبدنى منذُ عام . كما تُستَعبَدُ أولادُ حام[٢٣]. وهو عُبَيدُ فَلْسهِ[٢٤] لا يقوم بِميرة[٢٥] نفسهِ . فتراهُ ألأَم. من أسْلَم[٢٦]. وأحمَقَ من عِجْل[٢٧] .

---

(١) المولع . (٢) باعتبار الخط عند اجتماعهما معاً . (٣) مهله .
(٤) الشوق . (٥) قسم من أقسام بلاد العرب أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراق والشام .
(٦) أى علوت رحال الجمال . (٧) أى الأراضى المرتفعة والمنخفضة .
(٨) أرويت . (٩) عطشى . (١٠) أى بعد لقاء الشدائد والدواهى . وقيل المراد بالتيا الداهية الصغيرة وبالتى الداهية الكبيرة وهو من أمثالهم . (١١) أى ذهبت مشقة مشى الليل . (١٢) حاجة النعاس أى النوم . (١٣) منزلة القوم . (١٤) المتفرقة .
(١٥) مجتمع القوم . (١٦) رئيس (١٧) أضعف . (١٨) خيط تشد به المرأة برقمها إلى قفاها . (١٩) شجر طيب الرائحة . (٢٠) جلس متلبداً بالأرض.
(٢١) منحنياً . (٢٢) ضاماً رجليه إلى بعضهما . (٢٣) السودان .
(٢٤) مثل يضرب للبخيل . (٢٥) زاد . (٢٦) رجل يضرب به المثل فى اللؤم .
(٢٧) هو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . كان له فرس كريم فقيل له يوماً ما سميت فرسك . فقام ففقأ عين الفرس وقال سميته الأعور . فصار مثلا فى الحماقة .

وأفلَقَ من الحِجْل[١] . فى الرِّجْل . بَيْدَ أنَّهُ[٢] مَلاَّقٌ مَذَّاق[٣] . سَفْسافٌ[٤] شَقْشاق[٥] . لا يَزالُ يَهْذُر[٦] ويُهَذْرِم[٧] . ويُبَربِر[٨] ويُدَمدِم . ويَلغُو بالكَلِم الجاهليَّة . ويَعْبَثُ بالتَّمويهات[٩] الخُزَعْبِليَّة[١٠] . إذا طلبتُ منهُ قِطْعة . أنشَدَنى أبياتًا سَبْعة[١١] . وإذا قُلتُ لى مسألة[١٢] . قال هات الدَّواةَ والمِرْمَلة[١٣] . وإذا التمستُ منهُ الصَّرْف[١٤] . جاءنى بألف حرف[١٥] وهو يتأنَّق[١٦] بهُجَنٍ[١٧] جامدة . من لُغة العَرَب البائدة[١٨] . ليس لها طُلاوةٌ ولا فائدة . فثارَ الشَّيخ كالمعْتُوه[١٩] . وقد أزبَدَ فُوهُ[٢٠] . وقال بَهْرًا[٢١] لك يا عَفَنْقَسُ[٢٢] يا ماقط[٢٣] الأَنقَس[٢٤] . متى تَشَدَّقتُ بهذه الشَّغاشِغ[٢٥] . وتمطَّقْتُ بهذه الضَّغاضِغ[٢٦] ذَرْ عنك هاتى الجَعْظَرة الخِضَمَّة[٢٧] . والفَظاظة[٢٨] المُضْلَخِمَّة[٢٩] . وإلا قَفَخْتُ[٣٠] رأسك العَفَنْجَج[٣١] . ولو كنت حفيد العَرَنْجَج[٣٢] . قال فضحك القوم من هذا التنصُّل[٣٣] . الذى يَشْهَدُ

---

(١) الخلخال . (٢) أى غير أنه . (٣) غير مخلص .
(٤) سخيف العبارة . (٥) كثير الكلام . (٦) يكثر الكلام .
(٧) يسرع فى كلامه . (٨) يتكلم بألفاظ وحشية كألفاظ البرابرة .
(٩) هى أن تخبر بخلاف ما مثلت . (١٠) الباطلة . (١١) أى يحتمل معنى القطعة على قطعة الشعر التى هى سبعة أبيات أو عشرة .
(١٢) أى طلبة . (١٣) أى يحملها على المسألة العلمية . (١٤) أى أن يصرفنى عنه . (١٥) أى يحمل الصرف على علم التصريف فيجىء بتصاريف شتى . (١٦) يتفنن معجباً .
(١٧) جمع هجنة وهى مالا يستحسن من الكلام . (١٨) هم الذين بادوا وانقرضت أجيالهم . وهم سبع قبائل وهى عاد وثمود وصعار وجاسم ووبار وطسم وجديس. وكانت مساكنهم بعمان والبحرين واليمامة وكانت لغتهم غليظة خشنة . (١٩) المجنون. (٢٠) طلعت عليه الرغوة. (٢١) تعساً .
(٢٢) لئيم . (٢٣) عبد العبد المعتق . (٢٤) ابن الأمة . (٢٥) جمع شغشغة وهى ضرب من هدير الجمال . (٢٦) جمع ضغضغة وهى أن تلوك العجوز التى لا أسنان لها شيئاً بين حنكيها . (٢٧) اترك هذه الغلاظة العظيمة . (٢٨) سوء الخلق والتكلم بالقبيح.
(٢٩) الشديدة . (٣٠) ضربت . وهو خاص بالضرب على الرأس .
(٣١) الضخم . (٣٢) اسم حمير بن سبأ جد ملوك اليمن . وحمير لقب غلب عليه والحفيد ابن الابن . (٣٣) يقال تنصل من ذنبه أى تبرأ منه .

للتُّهَمَة بالتأَصُّل[١]. وكان بينهم رجلٌ أَضْجَم[٢] .فَتَبازخ[٣] كالتَّيَّار[٤] الأَعْجَم[٥] . وقال إنى أراك فى العربيَّة راسخ القَدَم . فهل تعرفُ أَيَّام الأُسبوع فى القِدَم . فَتَخَازَرَ[٦] تَخَازُرَ القِيان[٧] . ثم قال جَرَى ابنا عِيان[٨]. فاستَجْلِ البَيان . وأنشد :

لأوَّلِ الأُسبُوعِ قِيلَ أَوْهَدُ فى قِدَم الدَّهرِ وأَهوَنُ الغَدُ
ثمّ جُبارٌ بعدهُ دُبارُ فمُؤْنِسٌ عَـرُوبةٌ شِيـارُ[٩]

قال لا تَرِبَت[١٠] يَداك . ولا طَرِبَت[١١] عِداك . إن كنتَ تعرف ألقابَ الشُّهُور . فأَنت العَلَم المشْهور . فأَكتَامَ[١٢] وأَشرَأَبَّ[١٣] . ثم جثم[١٤] وأَستَتَبَّ[١٥]. وأنشد :

مُؤْتمرٌ وناجرٌ خـوَّانُ من لقبِ الأَشهُرِ والصَّوَّانُ
زَبَّاءُ بائدٌ أَصَمُّ واغـلُ وبعـد ذاكَ باطلٌ وعاذلُ
ورَنَّةٌ وتَيْرَكُ الختـامُ وقيلَ غيرُ ذاكَ والسَّلامُ[١٦]

---

(١) أى أن هذه الألفاظ الوحشية التى أتى بها تشهد بإثبات تهمة الفتى له . (٢) معوج الأنس . (٣) أخرج صدره . (٤) الموج . (٥) الذى ارتفع قبل أن يتنفس . (٦) ضيق جفنيه . (٧) الجوارى المغنيات . (٨) هما خطان يخطهما العائف فى الأرض يزجر بهما الطير ثم يقول ابنا عيان أسرعا البيان . فإذا علم أن القامر يفوز بقدحه قيل جرى ابنا عيان . وهو كناية عن الفوز وإصابة الحاجة . (٩) المراد بأوهد يوم الأحد وهلم جرا إلى شيار وهو السبت . (١٠) افتقرت . (١١) فرحت . (١٢) قعد على أطراف أصابعه . (١٣) مد عنقه متطاولا . (١٤) جلس متمكناً . (١٥) استقام وتمكن . (١٦) قال الخطيب خير الدين المدنى فى تذكرته إن المحرم كان يقال له عند الجاهلية المؤتمر لأنه أول السنة فكل شىء من أقضيتها يأتمر به . وصفر الناجر من النجر أى شدة الحر . والربيع الأول الخوان من الخيانة . والثانى الصوان من الصيانة . وجمادى الأولى الزباء وهى الداهية الكبيرة . والأخرى البائد لكثرة القتال والقتل فيها . ورجب الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا تسمع فيه أصوات السلاح . وشعبان الواغل وهو الداخل على قوم ولم يدعوه لهجومه على رمضان . ورمضان الباطل وهو كوز يكال به الخمر . وشوال العاذل=

قال لله دَرُّك ما أبعَدَ غَوْرَك[١] ، وأقرَبَ نَورَك . فاختِم بذِكر الأَشهُر الحُرُم إن كنتَ ممن أتمَّ ما كَرُم . فقال اللَّهم اجعلنا ممن حَسُنَ خِتامُهُ . وانجلى قَتامُهُ . ثم أنشد :

ثلثةٌ من الشُّهُور سَرْدُ[٢] وواحدٌ عقيبَ ذاكَ فَرْدُ
ذو قعْدةٍ وحِجَّة مُحرَّمُ ورَجَبٌ وَهْيَ الشُّهُور الحُرُم[٣]

قال فلما رأى القومُ اتِّساعَ رِوايتِهِ وارتِفاعَ رايتِهِ . علموا أنهُ صِلٌّ أصلال[٤] . فنظروا إليهِ بعين الإجلال . ولما رأى إقبالهم عليهِ . وارتياحهم إليهِ . قال يا جَهابِذة[٥] اليَلامع[٦] . وهَرابذة[٧] المعامع[٨] . عَلِمَ الله أنى لستُ بجَعْد الكَفّ[٩] . كما يَزعُمُ هذا الهِجَفّ[١٠] ولكن قد أناخَ الدهر علىَّ بكَلْكَلِهِ[١١] . وأخنَى علىَّ الهَرَم بأَفْكَلِهِ[١٢] فلم يبقَ لى عافطة . ولانافطة[١٣] .

لأنه من أشهر الحج فكان يثنيهم عن غير مهماته . وذو القعدة رنة لأن الأنعام كانت ترن فيه لقرب النحر . وذو الحجة تيرك لأنهم كانوا يتركون الإبل فيه . وقيل كان يقال لربيع الثانى بصان . ولجمادى الأولى حنين . وللأخرى رنى . ولشعبان العاذل . ولرمضان ناتق . ولشوال الوعل . ولذى الحجة برك . ولا خلاف فى البقية . وإلى هذا أشار بقوله فى آخر الأبيات وقيل غير ذاك . وقوله والسلام أى والسلام عليك . وذلك من باب الاكتفاء البديعى .

(١) عمقك . (٢) أى مجتمعة . (٣) قيل لها ذلك لأن العرب كانوا لا يستحلون فيها القتال إلا بنى خثعم وبنى طى فكانوا يستحلونه فيها . وكانت العرب تستحل دماء هؤلاء فيها أيضاً لاستحلالهم الدماء فيها . (٤) حية تقتل لساعتها إذا لسعت . وهو مثل يضرب للشديد الدهاء . (٥) جمع جهبذ وهو النقاد الخبير . (٦) جمع يلمعى وهو الذكى المتوقد الفؤاد . (٧) الذين يوقدون النار عند المجوس . (٨) مواقع الحرب . أى أنهم يضرمون نار الحرب كما يضرم الهرابذة نار عبادتهم . (٩) أى بخيل . (١٠) الجافى الثقيل . (١١) صدره . أى ضغطه كما يضغط البعير من أناخ عليه . (١٢) الأفكل الرعدة . أى أن الهرم جعله يرتعد من ضعفه . (١٣) المراد بالعافطة النعجة وبالنافطة العنز . وهو مثل .

وصِرتُ أسغب[١] من السِّيدان[٢] . بعد ما كنت أقرى الهَيْدان والزَيْدان[٣]. ولو استطعتُ أنْ أقومَ بأمرى . لأَطلَقتُ هذا الفتى من أسْرى ولكننى ما زِلتُ أعَلِّل نفسى بالمُنَى . وأُمَنِّيه بالغِنى . لعلَّ الله يُقَيِّض[٤] لى فتحًا قريبًا . أو يكتُبُ لى بمثلكم نصيبًا . قال : فاستعذب القومُ كَلَامَهُ . واستعذروا غُلامَهُ[٥] وقالوا قد كتب ربُّك على نفسِه الرّحمة . ولكن ما كلُّ سوداء تمرةً ولا كلُّ بيضاء شحمة[٦] . فإن الناس قد لَؤموا[٧] وجَشِعوا[٨] . حتى لو سُئِلوا التُّراب أوشكوا أن يَملوا ويمنعوا[٩] فإن شِئتَ أن تُجاوِرَنا غابرَ هذه الشَّيْبة . وتكتفى ذُلَّ السُّؤال وغُصَّة الخَيبة . وإلَّا فخُذ هذه النِّحلة[١٠] واعتمد الرِّحلة . قال حَبَّذا جِوارُكم لولا ضَفَفٌ[١١] خَلَّفْت ومَوعِدٌ أخْلَفْت[١٢] . فوَصَلوهُ كلُّ واحدٍ بدينار . وأَرحَلوهُ ناقةً ذات سِفار[١٣] . قال سهيلٌ وكنت قد تنسَّمتُ ريحَ خِزامهِ . وظَلَفتُ[١٤] نفسى عن التزامِه[١٥] . فلما شقَّ العصا[١٦] خرجت فى أثَرِهِ . حتى صِرتُ بمَرْمَى بَصَره[١٧] فقال أنتَ من المولَّدين[١٨] فى هذا الزَّمان . لا تعرف لُغَةَ يَعرُبَ[١٩]

---

(١) أجوع . (٢) جمع سيد وهو الذئب . يضرب به المثل فى الجوع ولذلك يقال الجوع الشديد داء الذئب . وقيل إن الذئب لا يزال كل زمانه جائعاً لأن جوفه يذيب كل ما يقع فيه حتى العظم فلا يبقى له شبع . (٣) أى أقرى من أعرفه ومن لا أعرفه . وهو مثل .
(٤) يقدر . (٥) أى وجدوه معذوراً . (٦) أى ليس كل الناس موضعاً للرحمة والإحسان . وهما مثلان . (٧) بخلوا . (٨) حرصوا أشد الحرص .
(٩) من قول الشاعر :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(١٠) العطية . (١١) أن تكون العيال على المائدة أكثر من الطعام الذى عليها .
(١٢) أى أنه قد ضرب لأهله موعداً لرجوعه لا يريد أن يخلفه . (١٣) حديدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة من الفرس . (١٤) منعت . (١٥) اعتناقه .
(١٦) أى فارق الجماعة . (١٧) أى بحيث يبصرنى . (١٨) أى عربى غير محض لأنه قد ربى بين الحضر . (١٩) هو جد العرب القديم .

ابن قَحْطان. فَعُدْ إلى أن يُصادِفَنا تُرْجُمان[١]. ثم انسَدَر[٢] يعدو كالظَّليم[٣] وغادَرَنى[٤] كالسَّليم[٥]. فعُدت وأنا أعجَبُ من فنُونهِ. فى جِدِّهِ ومُجُونِه[٦].

٢ ــ ناصيف اليازجى الشاعر

كان من الطبيعى لشاعر يبعثه افقه فى القرن التاسع عشر بعد غفوة الشعر قروناً عدة أن يكون امتداداً للفحول من الشعراء القدامى فينسج على منوالهم ويلتزم نفس الموضوعات التى التزموها من غزل ومدح ورثاء وحكم وما إلى ذلك.

١ ــ الغزل

عفة يوسف ومريم

وهى مما نظمه فى صباه ولا غرو أن يكون الشعر لسان الشباب يعبر به عن خفقات قلبه وخلجات نفسه:

أَلْوَى علىَّ فضمَّنى وضممتُهُ ... وصدورُنا بصدورِنا لم تعلمِ
أَهْوَى علىَّ وفىَّ عفَّةُ يوسفٍ ... حتى يميل وفيه عفَّةُ مريمِ
فيروح بين صَبابَتى وحنينِهِ ... وأروحُ بين حديثِهِ وتبسُّمى[٧]
خُضْنا مليًّا فى الحديثِ كماجرى ... وكأننا للشَّوْق لَمْ نتكلَّمِ
عاتبتُها فاستضحكتْ وعتابُها ... ظُلمٌ وكيف عتابُ مَنْ لم يأْثَمِ
ماكنتُ أختارُ العتابَ وإنما ... قد كان ذلك حيلة المتكلِّمِ
حتَّى رنتْ وكأنَّ هدبَ جفونِها ... وسوادَ قلبى قطعةٌ لَمْ تُقْسَمِ

(١) يقول ذلك على سبيل التهكم والرقاعة. (٢) هرول. (٣) ذكر النعام.
(٤) تركنى. (٥) الذى لسعته الحية. يقال له ذلك تفاؤلا بالسلامة. (٦) هزله.
(٧) الصبابة: الشوق ورقة الهوى والوله الشديد.

حوراءُ تُدمى بالسّيوف جفُونها ... ولحاظُها ترمى القلوبَ بأسهمِ (١)

قطرتْ دمًا من فوق وجنتِها فما ... كذبتْ علينا إنّهُ لونُ الدّمِ

عينُ الغزالةِ عينُهـا وجبينُها ... لا ذاتُها مِنْ رقّةٍ وتبسّمِ

ولطالما نفر الغزالُ وما درتْ ... كيفَ النّفارُ وعِرضُها لَمْ يكلَمِ

يا ليلةً سمح الزّمانُ ببعضها ... بعضَ السّماح وليته لَمْ يندمِ

قد كنتُ أرجو مثلها فبلغتُه ... والحادثاتُ تقولُ طرفك فاسلَمِ

حتّى دخلتُ الدارَ ساعةَ غفلةٍ ... وعرفتُ ربع الدّار بعدَ توهُّم (٢)

فكأنّ كلَّ الدهر مُدّة لحظة ... وكأنّ كلَّ الأرضِ دارةُ دِرهمِ

ولقد جلستُ إلى الفتاةِ مُسامِرًا ... ووشاتُنا من غافلين ونُوّمِ

ولطالما جلستْ إلينا قبلهـا ... طيفًا وكان الطّيفُ غيرَ مسلّمِ

حتى رجعتُ كما رجعتُ وأخمَصى ... متأخرٌ فى نيّـةِ المتقدّم (٣)

ياهل تُرى علمت بنات عشيرتى ... أنى لقيت الشّمس بعد الأنجُمِ

إنْ كانَ بُعدى ساءهُنّ فسرّنى ... يا غُربتى طولى ولا تتصرّمى

بالله ياريحَ الصّباقبلَ الضُّحى ... إنْ جُزْتِ هاتيكَ الدّيارَ فسَلّمى

قسمًا بها إلّا وقعتِ بصدرها ... بين النّهود ولا أقولُ لكِ الثمى

وضممت مَعْطِفَها وقلت له تُرى ... كم فيك غمزَةُ حسرةٍ مِنْ مُغرَمِ

هيهاتَ أسلوها وقد ختمتْ على ... قلبى بخاتمِ ثغرها المتبسّمِ

---

(١) حوراء : مؤنث أحور وهو من اشتد بياض عينه بياضاً وسوادها سواداً .

(٢) إشارة إلى مطلع معلقة عنترة حيث يقول :

هـل غادر الشعراء من متردم ... أم هـل عرفت الدار بعـد توهم

(٣) أخمص القدم : ما لا يصيب الأرض من باطنها وربما يراد به القدم كلها .

لو لم يكنْ للشَّوقِ من سببٍ كفى ... ذاك الوداعُ ومَدُّ ذاك المعصمِ
إنَ كان قتلُ النَّفسِ غيرَ مُحلَّلٍ ... قولوا لها فالوصلُ غيرُ مُحرَّم

يا ليتنى كنت الرسول

وهذه نفحة أخرى من نفحات القلب الصابى والجوانح المشوقة يودعها الشاعر أوزانه وقوافيه ويضمنها العواطف تختلج فى صدره ويبعث بها إلى الحبيب رسول وجد وصبابة :

من غنْجِ عينيكِ أم من لطف معناكِ ... أيدى الهوى أوقعتْ قلبى بأشراكِ
يا ظبية فى النَّقا ترعى الخزامَ بهِ ... لم تعلمى أنَّ عين الصبِّ ترعاكِ[1]
روحى فداكِ لقد أضنى هواكِ فتًى ... ما كان يدرى الهوى والله لولاكِ
وردٌ بخدَّيكِ أم هذا خضابُ دمى ... فقد أراقت دمى بالسِّحرِ عيناكِ[2]
هل تعلمين بشوقٍ فى ضمائرِنا ... لا تنطفى نارُه إلَّا بمرآكِ
هانتْ علينا المنايا فى هواكِ وما ... أحلى عذابَ الهوى إن كان أرضاكِ[3]
لولاكِ ما عرفتْ أجفانُنا سهرًا ... فما عرفنا الهوى حتَّى عرفناكِ
إنى لقد غرتُ من ذكرٍ عليكِ جرى ... ومن لحاظِ رسولى حينَ يلقاكِ
فقلتُ يا ليتنى كنتُ الرَّسولَ ويا ... ليتَ الرَّسولَ أنا والكلّ مُضناكِ
يا نسمةً فى الحمى مَرَّتْ بهاسَحَرًا ... طوباكِ يا ليتنى إيَّاكِ طوباكِ[4]

---

(١) الظبية : الغزالة . النقا : قطعة من الرمل محدودبة . الخزام : نبات طيب الرائحة . الصب : المحب .
(٢) خضاب : صباغ .
(٣) المنايا : جمع منية ، الموت .
(٤) الصواب طوبى لك أى السعادة لك واتصالها بالكاف غير جائز إلا فى الشعر .

هل تحملين إليها من صَبابتنا ... كما حملتِ إلينا عند مسراكِ
حكيت رقة عِطفَيها ونفحتها ... ولا نسلّمُ أنَّ الفضل للحاكى

ب – المدح والرثاء

النصر والظفر

لم يكن الشاعر مع انقطاعه لخدمة الأمير بشير الشهابي مكثراً فى مدحه وتهنئته وهذه قصيدة مشهورة له يمدح بها الأمير بعد الحروب التى نشبت فى سنة ١٨٣٠ .

يَهنيكَ يَهنيكَ هذا النَّصْرُ والظَّفرُ ... فانعَمْ إذَنْ أنتَ بل فلتنعمِ البَشرُ
ولم يغبْ عنك تأْييدٌ خُلقت لهُ ... لكنه البحرُ بين المدِّ ينجزِرُ
مادتْ لهيبتكَ الدُّنْيا فلو رُفعتْ ... أطوادُ حلمك منها دكَّها الخطرُ
واستهولَ الدَّهْرُ بأْسًا كان يَعرفُه ... من قبلُ منك ولكن فاتَهُ القدرُ
أَريتَهُ النَّاسَ فى الدُّنيا وساحتها ... فكرًا تمرُّ به الأَشباحُ والصُّورُ
كلُّ البلادِ إذا لم تستقرَّ بها ... رسومُ دارٍ عَفَتْها الرِّيحُ والمطرُ
آلتْ عليك المعَالى لا تفارقُها ... قبل القضا وعلى وجهِ القضا نفرُ
وأَقسمَ السَّعدُ لا يلقاكَ راجلُهُ ... إلَّا وفى رأْسِه من مشيه أَثرُ
وما أَخذتَ بسيفِ الدَّهر مغتنمًا ... لكنَّ ربَّكَ فى هذا لهُ وَطَرُ
متى اتَّقى المرءُ مولاهُ على حذَرٍ ... لا بأْسَ إن فاتَهُ مِنْ غيرهِ الحذرُ
وما اعتصمتَ بحبلِ الله مكتفيًا ... إلَّا وعندك فى أَسرارهِ نظرُ
لا صُنتَ وجهكَ عَنْ وقعِ الحرابِ فقد ... علَّمْتها تحتَ ذيلِ الرِّيح تنكَسِرُ
عليك دِرعٌ من الدِّيباجِ واقية ... وكفُّكَ السَّيْفُ لا تُبقى ولا تذَرُ

مَتى رأيتُكَ بعد النَّاسِ مختبرًا ... علمتُ أنَّكَ خُبْرٌ والورى خَبَرٌ
تباركَ اللهُ مَنْ أنْشاكَ فى جَسَدٍ ... خَلَّى التُّرابَ على الياقوت يَفْتَخِرُ
للهِ عِزَّةُ بيتِ الدِّين فيكَ فَقَدْ ... أمسى على فَلَكِ الشِّعرى لهُ خَطَرُ[1]
غارتْ نجومُ الثُّريَّا مِنْ جلامِدِه ... وظلَّ يحسدُ هادى ليلهِ السَّحرُ

أنت الكرامة

نفحة من الشعر فيها الإجلال والإكبار يخصها الشاعر بشاعر الأمير بشير الشهابى وقتذاك المعلم بطرس كرامة :

خطرتْ وفى قلبى لذاكَ خفوقُ ... ورنتْ فكلُّ الصَّاحبين رشيقُ[2]
هيفاءُ مالَ بصبِّها سكرُ الهوى ... لمَّا تمايلَ عِطفُها المشوقُ[3]
قامت تديرُ لنَا الرَّحيق وليتَها ... طلبت مجانسةً فدارَ الرِّيقُ[4]
وشدتْ فأطربتِ الجمادَ وهيَّجت ... حتى علمنا كيف يُحْيَى البوقُ
ناظرتُها فسكرتُ من لَحظاتها ... وشربتُ خمرتها فكيفَ أُفيق
ورأيتُ رقَّة خصرها فوهبتُهـا ... قلبى فإنَّ كليهما لَرَقِيقُ
غيداءُ آنسةٌ نفورٌ عندها ... يحيَا الرَّجاءُ ويُقتَلُ التَّوفيقُ[5]

---

(١) الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء .
(٢) بدأ الناظم قصيدته بالغزل ثم تخلص منه إلى المدح على طريقة ذلك العصر وما تقدمه .
(٣) هيفاء : مؤنث أهيف وهو الرقيق الخصر .
(٤) الرحيق : الخمر .
(٥) غيداء : مؤنث أغيد وهو من مالت عنقه ولانت أعطافه .

كالآل يُطْمَعَ لامعًا متقـــرِّبًا ... ولِمَنْ أتاه زَفـــرةٌ وشهيقُ[1]

هيهات ما كبرًا مشيبى إنَّما ... هذا الدَّلالُ على المشيبِ يَسُوقُ

إنِّى امرؤٌ طربٌ على غَزَلٍ ألمها ... وعلى مناظرةِ الحسانِ مَشوقُ

حجَّتْ إلى قلبى العيونُ فإنه ... بيتٌ ولكن لا أقولُ عتيقُ

يا ربَّةَ الحسنِ العزيزِ لك الحشا ... مِصْرٌ غلا فسطا عليه حريقُ

نعمانُ خدَّك فى الرِّياضِ فأدمعى ... هذا لها خالٌ وذاك شـــقيقُ

دمعى حديثٌ لا يزالُ مُسَلْسلًا ... أبدًا وقلبى بالغـــرامِ خليقُ

قلبٌ كخالك فى المحبةِ طيِّبٌ ... لكنَّ ذا مسكٌ وذاك فتيقُ

هو شافعىٌّ عنـــده حسنُ الوفا ... لابنِ الكرامةِ سُنَّـــةٌ وحقوقُ

ومَتى الوفاءُ وكلَّ يومٍ بَرَّةٌ ... لكَ فى المحاسنِ للوفاءِ سَبُوقُ

تَأْتى النَّفائسُ منكَ لا مطروقةً ... من دونهنَّ الدِّرهمُ المطروقُ

اللهُ أكبرُ فى الأَيمَّـــةِ فَرْدُها ... ولفيفُهـــا المقرونُ والمفروقُ

رجلٌ وماذا وصفُهُ وكفى بهِ ... رَجلًا له المفهومُ والمنطوقُ

حَسَنُ المعـــانى والبيـــانِ كلامُهُ ... جَزْلٌ ومعناهُ الرَّقيقُ دقيقُ

فإذا تكلَّمَ راحَ يَفْعَلُ لفظُـــهُ ... ما راحَ يفعَلُ بالنُّهى الراووق[2]

حىَّ القريضَ وآخذيه وقُلْ لهُ ... قد كانَ مُفْتَرَضٌ وأنتَ طليقُ

ها أنتَ فى يدهِ رقيق إن تَحُل ... عنها فإنك آبقٌ مسروقُ

لكَ من قريحته السَّليمة صِحَّةٌ ... وطِرازُ وشْيٍ لا يَرِثُّ أنيقُ

هى ذلك الإكسيرُ صنعُ الله لا ... الإكسيرُ ممَّا يصنعُ الإنبيقُ[3]

---

(١) الآل : السراب . (٢) الراووق : إناء يروق فيه الشراب والمقصود هنا هو الشراب نفسه . (٣) الإنبيق : وعاء الاستقطار هو ما يستقطر به عصير العنب والزهر وغيرهما .

تلقى الهلالَ فيستحيل بها إلى ... شمسٍ لها عند الأفول شروق
يا «بطرسُ» الشَّهمُ الكريمُ مكانُهُ ... وبنانهُ ولسانهُ المِنطيقُ[1]
أنتَ الكرامةُ وابنُها وأبٌ لها ... نَسَبٌ كريمٌ فى الكرامِ عريقُ
طُفتُ البلادَ وقد جلستُ إليك لا ... سفرٌ ولم تمنُنْ علىَّ النُّوقُ[2]
ما فاتنى أن الأوائلَ قد مَضَوا ... وبقيتَ أنت ولى إليك طريقُ

سر أبيه

كان الشعر دائماً أبداً فى العصور القديمة معراج الشعراء إلى الأمراء والولاة فلا بد أن ينزل الشيخ عند هذه القاعدة وأن تهتز قريحته شادية بمآثر الوالى وكان إذ ذاك الأمير أمين أرسلان :

لِمَن الهوادجُ فى عَراء الهوجَل ... تحتَ القباب تشقُّ ذيلَ القسطلِ[3]
يتتبَّع الاثارَ قلبى خَلفَها ... فلو انثنينَ وطئنَه بالأرجُلِ
أبراجُ أقمار تغيبُ نهارَها ... فيها وتطلُعُ فى الظلامِ المُقبلِ
حَمَّلتَنى ما لو تحمّل بعضَهُ ... حُمْرُ النياقِ اما نهضن بمحْمَلِ
لى ذاتُ خدرٍ بينَهُنَّ أنالها ... وأوَدُّ لو رضيت فقالتْ أنتَ لى
قامت تصولُ من الرماح بأبيضٍ ... ومِنَ السُّيوف بأسودٍ لم يُصْقَل
ولقد أقولُ لِمَن أقامَ بمرصدٍ ... ما كان ضرَّك لو أقمتَ بمعزل
أقصرْ عناك وحيث حلّتْ نعمةُ الـ ... رُّوح الأمينِ على محمَّدَ فانزلِ

---

(١) المنطيق : البليغ .
(٢) النوق : جمع ناقة .
(٣) الهوادج : جمع هودج وهو محمل له قبة كانت تركب فيه النساء . والهوجل : المفازة البعيدة لا أعلام فيها . والقسطل : غبار الحرب .

زرْ ذلك الربعَ الخصيبَ وقِفْ به ... يومًا وقوفَ الآملِ المتأمِّلِ
يومٌ يحقّ له التذكرُ بعدما ... طال المدى لا يومَ دارةِ جلجلِ

ومنها :

يروى حديثَ الأولينَ كأنهُ ... من عهد طسمٍ شاهدٌ لم يغفُل
أبصرتُ من ألطافهِ ما لم يَسعْ ... لفظُ الرُّواةِ فكان ما لم يُنْقلِ
ورأيتُ سرَّ أبيه فيــه مُصوَّرًا ... كالشَّخص يبدو من وراء سجنجل[1]
إنْ لم تُصِب قَدمى الحلولَ بداره ... فالقلبُ فيها نازلٌ لم يَرْحَلِ
هى أفضل الأوطانِ عندى رتبةً ... ولذاك قد خصَّصتها بالأفضلِ
دارٌ بها نيلُ الفوائدِ والمُنى ... ولها العوائدُ فى الجميلِ الأجمَلِ
لا غيَّرَ الرحمٰن عادَتَه على ... مَنْ لم يُغيِّر عادةً لمؤمِّلِ

الدهر نيسان

ويستحيل نظام الحكم فى لبنان إلى متصرفية فيعمد الشعر إلى تحية المتصرف نصر الله فرنكو باشا مشيداً بمكارمه وعوارفه :

لاالدُّر درٌّ ولا المرجانُ مَرْجانُ ... إذا نطقتَ ولا للدرّ أثمانُ
وحيثما كنتَ بستانٌ تخالُ به ... جنَّاتُ عدنٍ فما لبنانُ لبنانُ
وكلّ شهرٍ ربيعٌ منك نحسَبُهُ ... حتَّى كأنَّ جميعَ الدَّهر نيسانُ
يا أيُّها القمرُ المسعودُ طالعُهُ ... بدرُ السَّماء مَتى أشرقتَ كيوان[2]
كانما السعدُ لمَّا جئتَ زائرَنا ... طِرسٌ وأنت لذاك الطرس عُنوانُ

(١) السجنجل : المرآة .
(٢) كيوان : اسم لنجم .

ومنها :

قد قمتَ فى جبلٍ منكَ النجاةُ بهِ ... كذٰلك الفُلك لمَّا فاضَ طوفانُ
عليك رايةُ إقبالٍ وحولك من ... ملائك العرشِ إنسانٌ وأعوانُ
فى راحَتيْكَ من اللُّطفِ البديع لَنا ... ماءٌ ومِنْ بأْسِكَ المرهوبِ نيرانُ

ومنها :

حيَّا الحيا حلبَ الشَّهباءَ كم نبتَتْ ... فى روضِها النَّاضرِ الأَغصانِ أغصانُ
هاتيك بستان أفرادٍ بهِ شجـــر ... مِنْ خصبهِ كلُّ عودٍ منـــه بستانُ

• • •

أقامَ شأْنك بين النـــاسِ مُرتفعًا ... من كل يومٍ لَهُ فى خلقه شانُ
إنْ كانَ غيرُك تكفيهِ لمِادحـــهِ ... قصيدةٌ لم يكن يَكفيك ديوانُ

الميت والمولود

وتختلف الحياة بين الأفراح والأتراح ويشترك الشاعر فى مآسيها اشتراكه فى مباهجها فيقول معزياً صديقاً له :

لا تَبْكِ ميتًا ولا تفرحْ بمولودِ ... فالميتُ للدودِ والمولـــودُ للدُّودِ
وكُل ما فوقَ سطح الأَرضِ تنظرهُ ... يُطوى على عدمٍ فى ثوبِ موجودِ
بئْسَ الحياةُ حياةٌ لا رجاء لها ... ما بين تصويب أَنفاسٍ وتصعيدِ
لا تستقرُّ بهـــا عينٌ على سِنةٍ ... إلَّا على خوفِ نومٍ غير محدود[1]
ما أَجهلَ المرءَ فى الدُّنيـــا وأَغفَلَهُ ... ولا نُحاشى سليمان بنَ داودِ

(١) السنة : النوم .

يَرى ويعلم ما فيها على ثِقَةٍ ... مِنهُ ويغتَرُّ مِنْهـا بالمواعِيد
كلٌّ يفارِقُها صَفْرَ اليدَينِ بلا ... زادٍ فما الفرقُ بين البُخلِ والجودِ
يَضنُّ بالمالِ محمودًا يُثابُ به ... طوعًا ويُعطيهِ كَرْهًا غيرَ محمودِ
هانَ المَعاد فما نفسٌ به شُغِلَتْ ... عن ربّةِ العودِ أو عن رَنَّة العودِ
يا أَعْيُنَ الغيدِ تسبينا لواحِظُها ... قفي انظري كيف تُمْسي أعيُنُ الغيدِ
يبدو الهلال ويأتي العيدُ في أَنَق ... ماذا الهلالُ وماذا بَهْجَةُ العيدِ
يومٌ لغيرك ترجُوهُ وليس لَـهُ ... كلُّ ليومٍ غداةَ البينِ مَشْهُودِ
قد صَغَّرَ الدَّهْرُ عندي كل ذي خَطَرٍ ... حتى أستوى كل مرحومٍ ومحسودِ
إذا فُجعتُ بمفقودٍ صبرتُ لَهُ ... إني سأترُكُ مفجوعًا بمفقودِ
يا مَنْ له منه أهلٌ لا جزعتَ على ... أهلٍ وهل لكَ ركنٌ غيرُ مهدودِ
لسنا نعزِّيك إجلالًا وتكرمةً ... فأنتَ أدرى ببُرهـانٍ وتقليدِ
«لكلِّ داءٍ دواءٌ يستطبُّ به» ... وليس للحزنِ إلا صبرُ مجهودِ

رحيل

ولئن كان الشاعر مرآة عصره إنه لا بد جازع على الأغصان النضيرة التي يهصرها الموت من دوحة الوطن وهل يعبر الشاعر عن جزعه وأساه إلا بالشعر . قال يرثي خليل مشاقة المتوفى سنة ١٨٧٠ .

لَعمرُك ليس في الدُّنيا خليلُ ... يدومُ ولا يُقيمُ بها نزيلُ
فرادى أو جموعًا كُلَّ يومٍ ... لنا عنها إلى الأُخرى رحيلُ
لَنا في أرضنا عمرٌ قصيرٌ ... ولكن عنـدنا أملٌ طويلُ
وآمالُ الفتى أوهـامُ فكرٍ ... تلوحُ لَهُ ويمتنع الحصولُ

رحيلٌ ممكن فى كل يومٍ ... يُعارضهُ بقـــاءٌ مستحيلُ
وكلٌّ حين دعـــوتِه يلبى ... إذا ما جاءه ذاكَ الرَّسولُ
كما لملوكِنا دولٌ علينـــا ... عليهم للقضا دولٌ تدولُ
وقد يتقدَّم الملكُ المعلَّى ... وقد يتأخّر العبدُ الذَّليلُ
مَللتُ نوائبَ الأيَّام حتَّى ... غضبتُ بها على عيشٍ يطولُ
حياةٌ شابَها كدرٌ كثيرٌ ... وفى أثنـــائها صفو قليلُ

* * *

لَقد نُعىَ الخَليلُ صباحَ يومٍ ... بهِ كَثُرَ التلهُّفُ والعويلُ
خليل كان لى نعم المصافى ... تلاقى الأُنسُ فيه والجميلُ
وكان وِدادُه الذهبَ المصفَّى ... يزيدُ جلاءَهُ الزَّمنُ المُحيلُ
أفلتَ اليومَ يا نجمَ الدَّياجى ... على عجلٍ وما حانَ الأُفولُ
دهاك البينُ فى أندى شبابٍ ... كغض البانِ أدركه الذّبولُ

* * *

تركتَ بنى مُشاقةَ فى نواحٍ ... عليهِ الصّبحُ يَمضى والأَصيلُ
بكوك بأَدمعٍ نفدتْ وجفَّتْ ... فكان من الدماء لَها بديلُ

* * *

سليل أَبيك إبراهيم حسبى ... وحسبُكَ حيث أَنت له سليلُ
حيى بك ذكره المشهورُ فينا ... فزال وذكره ما لا يزيلُ
وبينكما من النَّسب اشتراكٌ ... بتسمية لها الشّرفُ الجزيلُ

فكنت نظيره قبلًا وأمسى بفردوس البقا لكما حلولُ
فقلتُ مؤرِّخًا بأجلِّ دار أمام العرشِ قد قام الخليلُ

ذهب الحبيب

الشاعر هو ترجمان العصر فما أحراه أن يكون ترجمان نفسه فيستبكى القوافى إذا بكى ويبثها حر جواه وحزنه إذا عصف به الزمن واخترم أعزاءه وأحبابه . قال يرثى ولده حبيباً وهو آخر شعر قاله :

ذَهب الحبيبُ فيا حشاشةُ ذوبى أسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبى
ربيتُــه للبين حتّى جــاءه فى جِنح ليل خاطفًا كالذِّيبِ
يا أيُّهــا الأُمّ الحزينةُ أجملى صبرًا فإن الصبرَ خيرُ طبيبِ
لا تخلعى ثوبَ الحدادِ ولازمى نَدْبًا عليه يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصنُ الرّطيبُ أصابَهُ سهمُ القضاء فماتَ غيرَ رطيبِ
منْ للكتابةِ والحســابةِ بعدَه ولصحةِ التــدبيرِ والتّدريبِ
لا أستحى إنْ قلتُ قَلَّ نظيرُه بينَ الرِّجالِ فلستُ غيرَ مصيبِ
والمرءُ يطلقُ فى الكلامِ لسانَهُ إنْ كان لا يَخْشى مِنَ التّكذيبِ
إنّى وقفتُ على جوانبِ قبــره أسْــقى ثــراهُ بمدمعى المصبوبِ
ولقد كتبتُ له على صفحاتهِ يا لوعتى من ذلك المكتوبِ
لك يا ضريحُ كرامةٌ ومحبّــةٌ عندى لأنك قد حويت حبيبى

ج ـ الشعر الدينى

استغاثة

كان فى الألوان التى رسمت متباين إنتاج الشاعر هذا اللون من الابتهال للعزة الإلهية وله فيه قصائد دارت وتدور على الألسنة وهذه واحدة منها :

دعوتُ جنح الدُّجى مولاى مبتهلًا ... وهو المجيبُ لِمَنْ نادى ومَنْ سالاْ
يا أرحمَ الرَّاحمين المستغاثَ بهِ ... عند البلاءِ الَّذى قد ضيقَ السُّبُلا
إنى على جودِك الطَّامى اتَّكلتُ وهَلْ ... يُخيب عبدٌ على ألطافِكَ اتَّكلا
أنت القديرُ الَّذى تخشى مهابتُهُ ... وترجفُ الأَرضُ منه والسَّما وَجلا
من ذاالَّذى ليس يخشى منك مُرْتَعِدًا ... خوفًا ولو كان يحكى قلبُه الجبلا
ومَن يحلُّ أمورًا أنت عاقِدها ... وَمَنْ يردُّ قضاءً منك قد نزلا
أنتَ الكريمُ الذى مِن فضلِ نعمتِه ... يُرجى العطاءُ وأَمَّا مَنْ سِواك فلا
أنت الحليمُ الَّذى يُرجى تجاوزُهُ ... عن جَهلِ عبدٍ أساءَ القولَ والعملا
مَنْ رامَ أن يبتنى قصرًا يدومُ لَهُ ... فليبنِ عندك قصرًا فى السَّماء علا
ومن أرادَ الغِنى الباقى لَهُ أبدًا ... يطلبْ غناكَ ولا يبغى بهِ بَدَلا

د ـ الحكم والأمثال

لا لقاء بلا فراق

حفل الشعر العربى القديم بالحكم والأمثال وبرز فى هذا المضمار جمهرة من فحول الشعراء من مثل المتنبى وغيره ولما كان الشيخ « كأنه قاعد فى قلب المتنبى » طرس على آثاره فى إرسال الحكمة وضرب المثل :

لعمرُك ليسَ فوق الأرضِ باقِ ... ولا ممَّا قضاهُ اللهُ واقِ
وما للمرءِ حظٌّ غيرَ قوتٍ ... وثوبٍ فوقَه عقدُ النِّطاقِ
وما للميتِ إلَّا قيدُ باعٍ ... ولو كانتْ له أرضُ العراقِ
وكَمْ يمضى الفراقُ بلا لقاءٍ ... ولكنْ لا لقاءَ بلا فِراقِ

أَضَلُّ الناسِ فى الدُّنيا سبيلًا ... محبٌّ باتَ منها فى وِثاقِ
وأَخسرُ ما يضيعُ العمرُ فيه ... فضولُ المالِ يُجمَعُ للرِّفاقِ
وأفضلُ ما اشتغلتَ بهِ كتابٌ ... جليلٌ نفعه حـلوُ المَذاقِ
وعشرة حاذقٍ فطنٍ لبيبٍ ... يفيدك من معانيـه الدقاقِ
مضى ذكرُ الملوك بكلِّ عصرٍ ... وذِكرُ السُّوقةِ العلمـاء باق
وكم علمٍ جنى مالًا وجاهًـا ... وكم مالٍ جَنى حربَ السِّباقِ
وما نفعُ الدَّراهم مع جهولٍ ... يُباعُ بدرهمٍ وقتَ النِّفاقِ
إذا حُمِل النُّضارُ على نيـاق ... فأىُّ الفخرِ يحسبُ للنِّياقِ
وأقبحُ ما يكونُ غِنى بخيل ... يَغَصُّ وماؤُه ملءَ الزِّقاقِ
إذا مَلكتْ يداهُ الفِلسَ أمسى ... رقيقًا ليس يطمَعُ فى العِتاقِ
ألا يا جامعَ الأموال هلا ... جمعتَ لهـا زمانًا لافتراقِ
رأيتُك تطلبُ الأبحارَ جهلًا ... وأنتَ تكادُ تغرقُ فى السَّواقى
إذا أحرزتَ مالَ الأرضِ طرًّا ... فمالك فوق عيشك من تَراقِ
أتـأكلُ كلَّ يومٍ ألفَ كبشٍ ... وتلبسُ ألفَ طاقٍ فوق طاقِ
فضولُ المال ذاهبـةٌ جُزافًا ... كماءٍ صُبَّ فى كأسٍ دِهاقِ
يفيضُ سدى وقد يسطو عليها ... فينقُص مِلأها عندِ اندفاقِ
مضتْ دولُ العلومِ الزُّهرِ قدمًا ... وقامتْ دولة الصُّفر الرِّقاقِ
وأبرزتِ الخلاعةُ مِعْصَمَيْها ... وباتَ الجهلُ ممدودَ الرِّواقِ
وأصبحَ يَدَّعى بالسَّبق جهلًا ... زعانفُ يعجزونَ عن اللِّحاقِ
إذا هلكت رِجالُ الحىِّ أضحى ... صَبىّ القوم يحلف بالطلاقِ
أسرُّ النَّاس فى الدُّنيا جهولٌ ... يُفكر فى اصطباح واغتباقِ
وأتعبُهم رئيسٌ كُلَّ يومٍ ... يكونُ لكلِّ ملسوعٍ كراقِ ...

من عضةِ الكلبِ

دَعْ يومَ أمس وخذ فى شأنِ يومِ غدِ ... واعدُدْ لنفسك فيه أفضل العُدَدِ
واقنعْ بما قسمَ اللهُ العزيز ولا ... تبسطْ يَديك لنيل الرّزقِ من أحدِ
والبسْ لكلّ زمانٍ بردة حضرتْ ... حتّى تُحاكَ لك الأُخرى مِنَ البُرَدِ
ودُرْ مع الدهرِ وانظُرْ فى عواقبهِ ... حذارِ أن تُبتلى عيناك بالرَّمَدِ
متى ترى الكلبَ فى أيّام دولتــهِ ... فاجعلْ لرجليكَ أطواقًا من الزَّردِ
وأعلم بأنَّ عليك العارَ تلبسُه ... من عضّةِ الكلبِ لا من عضّةِ الأسدِ
لا تأملِ الخيرَ من ذى نعمةٍ حدثتْ ... فهو الحريصُ على أثوابهِ الجدُدِ
واحرصْ على الدُّرّ أن تعطى قلائده ... مَنْ لا يميّز بين الدرِّ والبَرَدِ ..

٨ — التواريخ الشعرية

جلوس السلطان

أما التواريخ الشعرية فله فيها آثار وافرة عجيبة حسبك منها هذا المثل الفريد وهما بيتان قالهما مؤرخاً جلوس السلطان عبد العزيز على العرش :

عبد العزيز رَوَى جاهًا مؤرّخُهُ ... يُهدى حساب جميل البِشْر للبَشَرِ
فرعًا لعثمان ملك الآل عــزَّ به ... لا زال بالخير يهدى كامل الوطنِ

وهما بيتان يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخاً وذلك أن كل مصراع منهما برمته تاريخ . والحروف المعجمة من كل مصراعين من مصاريعهما الأربعة تاريخ . ومثلها الحروف المهملة فيجتمع من ذلك ستة عشر تاريخاً وكذلك المعجمة مع المهملة والمهملة مع المعجمة فيجتمع اثنا عشر ويكون المجموع ثمانية وعشرين .

٣ – ناصيف اليازجى العالم

ونقصد بالعالم كما أشرنا فى سياق البحث إلى العالم اللغوى المتمكن من العلوم اللسانية فى لغة العرب . ولا يخفى ما فى نقل آثار العلم فى هذه الموضوعات من جفاف غير أننا نجتزئ بشىء قليل تكلة للإطار الذى رسمناه للمترجم له .

وإننا لنكتفى بإيراد جزء من فصل من فصول كتابه « نار القرى » يتكلم فيه عن المبتدأ وعن مسوغات الابتداء بالنكرة قال :

والمبتدا كيما يفيد عُرِّفا ... فإن أفاد نَكْرَةً فقد كفى
وذاك فيما اختصّ كالمضافِ ... أو عَمّ كالواقع بعد النّافى
وهْوَ مقدَّمٌ بحسبِ الطبعِ ... فاعتمدوا تقديمَهُ فى الوَضْع

أى أن حكم المبتدإ أن يكون معرفة لكى يفيد إذا أُخبر عنه لأن الإخبار عن المجهول لا يفيد . فإن أفادت النكرة بوجه ما جاز الابتداءُ بها. وذلك يكون عند اختصاصها لأنه يقرّبها من المعرفة لتقليله الاشتراك . أو عند عمومها لأنه يستغرق كل أفراد الجنس . فتشبه المعرَّف بأل الجنسية . أما الأول فيكون غالبًا بالإضافة لفظًا نحو : خمس صلواتٍ كتبهن الله . أو معنًى نحو : كلٌّ يعمل على شاكلته . أى كل أحد . أو بالوصف لفظًا نحو : ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك . أو تقديرًا كقولهم : شَرٌّ أَهَرَّ ذا ناب أى شرٌّ عظيم . أو معنًى نحو : رجيلٌ عندنا أى رجلٌ صغير . وحكمه أن يكون مخصَّصًا موصوفه كما رأيت وإلا امتنعت المسألة فلا يقال : رجل من الناس زارنا لعدم الفائدة . وأما الثانى فيكون تارة بنفس النكرة كقولهم : تمرةٌ خيرٌ من جرادة . وتارةً وقوعها فى سياق النفى نحو : ما أحد فى الدار . أو الاستفهام نحو : هل أمير فى البلد . والمبتدأ مقدم على الخبر طبعًا لأن المحكوم عليه سابق الحكم الذى يبنى عليه . ولذلك يقدَّم عليه وضعًا إلا فى بعض الصور لعارض كما سيجىء .

واعلم أنهم ذكروا للابتداء بالنكرة مسوّغات كثيرة منها ما ذكرناه آنفًا . ومنها أن تكون النكرة عاملةً نحو : أمرٌ بمعروفٍ صدقةٌ . أو مخبرًا عنها بظرف أو شبهه مقدّمًا عليها نحو : فوق كل ذى علم عليمٌ ولكل أجلٍ كتاب . أو خلفًا من موصوف كقولهم : ضعيفٌ عاذ بقرملةٍ . أى رجل ضعيف . أو واقعة بعد إذا الفجائية نحو خرجت فإذا أسدٌ بالباب . أو بعدكم الخبرية كقول الشاعر :

كم عمّة لك يا جرير وخالة فدعاءُ قد حلبتْ علىّ عِشارى

أو بعد لولا كقول الآخر :

لو لا اصطبارٌ لأودى كلُّ ذى مقةٍ لمّا استقلّت مطاياهنّ للظّعَنِ

أو فى صدر جملة حالية مرتبطة بالواو كقول الآخر :

سرينا ونجمٌ قد أضاء فمذ بدا محيّاكَ أخفى ضوءُه كلَّ شارقِ

أو بدونها كقول الآخر :

الذئب يطرقها فى الدهر واحدةً وكلَّ يوم ترانى مديةٌ بيـــدى

أو يكون ثبوت ذلك الخبر لها من خوارق العادة نحو : شجرةٌ سجدت . أو يعطف عليها معرفة نحو : رجل وزيد فى الدار . أو نكرة موصوفة نحو : رجل وامرأة طويلة عندنا . أو يراد بها التنويع كقول الشاعر :

فيوم علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَر

أو الدعاء نحو : سلامٌ على إبرهيم وويلٌ لكل هُمَزَة . إلى غير ذلك مما لا فائدة فى استيفائه . وأكثر هذه المسوغات يرجع إلى الخصوص والعموم . ومدار الأمر فى الحقيقة على حصول الفائدة وهى العمدة فى ذلك فتدبّر .